

محمد سعيد الريحاني



موقع ريحانيات

[www.raihani.cjb.net](http://www.raihani.cjb.net)

**جميع الحقوق محفوظة للمؤلف**

<http://www.raihani.ma>

## شهادة:

# القصة القصيرة شكل من أشكال التعبير والتغيير

حين ينتهي المسار الطويل المنهك إلى المآزق الواضح المعالم، يبدأ التفكير والحلم بمسار مغاير وأفق أفضل. وهذه هي مهمة القصة: إعادة تشكيل العالم وإعادة تفسيره وإعادة تجديد الرؤية وإعادة رسم المجرى للحرية والانطلاق والركض... لأن القصة القصيرة تبقى بحثا فنيا عن معنى الوجود وسعيا حثيثا للإمساك باللحظة المنفلتة وإيقاف الصور والذكريات الهاربة أبدا وتخليدها.

المعنى العميق للوجود قد يكون في اللحظة الهاربة من حياتنا وقد يكون أيضا في العوالم العجائبية الأخرى حيث أسلوب النقل هو بساط الريح أو المكتنسة السحرية... وهتان هما الخابيتان التي تنهل منهما القصة القصيرة مادتها: خابية الذاكرة وخابية المخيلة. ومن الصعب أن يتوفر الاثنان في قاص واحد بنفس الدرجة. فقد كان محمد شكري يغرف من خابية الذاكرة في اغلب نصوصه القصصية بينما أوفى أحمد بوزفور لخابية المخيلة. أما عن مواضيعها فتتنوع بين الهوية والمغايرة والحب والحرة والحياة والبراءة والحوار والسلطة والموت والهجرة... إن القصة القصيرة شكل من أشكال التعبير والتغيير معا. فالقصة القصيرة كلمة، والكلمة صورة، والصورة مشروع حياة. لذلك، فالكلمات والصور والأحلام تصبح أشياء واقعية حقيقية إذا ما واكبتها إرادة التحقيق والرغبة في الإنجاز. إن القصة القصيرة الواعية تفتح الخيال على نوافذ جديدة وتنتج عوالم جديدة وتشيع مثلا جديدة وقيما جديدة...

أما عن الموقف من الوجود في القصة القصيرة فيمكن استكشافه من خلال تشريح هذين التعريفين للقصة القصيرة: "صرخة" و"مشهد". "القصة-الصرخة" تفجر موقفا سياسيا أو ثقافيا أو اجتماعيا معلنا وتشحذ الهمم وتعبئ القراء سعيا لتوسيع دائرة التأيد عبر قراءة نص "يفترض" أن يكون فنيا. و"القصة-الصرخة" هذه هي سليلة الأدب الملتزم والعمل الثوري والتعبئة الآتية للمعارك القرية المدى باستهداف فئات عريضة من القراء...

أما "القصة-المشهد" فتركز على "تصوير" لحظة هاربة ثم تضمنها المواقف والرؤى لإيقاظ القرارات في القارئ. والفارق بينها وبين "القصة-الصرخة" أنها تستهدف تغيير القارئ وليس التغيير بالقارئ. ولذلك ف"القصة-المشهد" ليست سليلة العمل الثوري ولكنها سليلة العمل التدريجي....

لكن في الحالتين، تتعد القصة القصيرة عن أن تكون "شكلا خالصا" مثل الموسيقى أو الرقص أو التشكيل. القصة القصيرة مضمون يعبر عن جوهره بشكله، أو هو شكل يعبر عن مظهره بجوهره. ليس من الحكمة أن يخفي القاص مادة تواصله مع القارئ حين يصبح الأمر موضوع تحليل... في الشعر، كانت هناك محاولات لردم هذه الهوة بين الشكل والجوهر فابتكر الكاليجرام (Caligramme) الذي اشتهر به الفرنسي أبولينير (Appolinaire) والأمريكي إي.إ. كامينغر (e.e. cummings)... ويرجى أن تعرف القصة نفس المنحى لمعالجة المضمون بالشكل والشكل بالمضمون.

## 1- القصة القصيرة مساحة صغيرة لإمحاة تشكيل الحياة:

النور يصبح أقوى حين يركز مجموع أشعته على مساحة صغيرة لكنه يصبح ضبابا إذا اتسعت دائرته... وعلى غرار ذلك، فضيق الحيز في القصة القصيرة أساسه الاحتفاظ بمنظور سردي واحد، عكس الرواية التي تشتغل على مناظير سردية قد تفوق العشرة كما في روايات ويليام فولكنر حيث نقرأ الرواية الواحدة بلسان شخصوها الحاضرين والغائبين، العاقلين والحمقى، الصغار والكبار... القصة القصيرة هي مساحة إبداعية تشتغل على أداة واحدة بمسميات متعددة: التكثيف، الرمزية، التركيز، الإيجاز، الصورة الوظيفية... وهذا ما يجعلها قصيرة ورقيا ولكنها لا نهائية قرائيا. فعند الشروع في قراءة قصة قصيرة، يضع القارئ في عوالمها تماما كما قد يضع القاص المبتدئ في تدفقها ويفقد القدرة على التحكم في خيوطها...

القصة القصيرة مساحة صغيرة لإعادة تشكيل الحياة. ولذلك فالمهم هو توفر القاص على تجربة حياتية (=مادة الحكيم) ورؤية للوجود (=وحدة الموضوع) ومهارة في السرد (=تمكن من أدوات السرد والوصف والحوار).

### ١٢- الكتابة بـ" المجموعة القصصية " بدل الكتابة بالنصوص الفردية المتفرقة.

قارئ أعمال الروائي الأمريكي أرنست هيمغواي يستطيع بسهولة رصد أسلوبه المتميز بجمل بسيطة قد تطول أحيانا بسبب ميله الظاهري لاستعمال "واو العطف". والمتتبع لأعمال الأديب والفيلسوف الفرنسي ألبرت كامو يقرن بين الرجل وأعماله وحمله القصيرة جدا. والمقبل على روايات الكاتب الأمريكي ويليام فولكنر يستعد مسبقا لقراءة جمل طويلة متحررة من قيود القواعد والخوف من ارتكاب الأخطاء مادامت مجرد أفكار في رؤوس الشخصيات الروائية...

السائد، إذن، هو أن الأسلوب هو الرجل. لكنني أعتقد أن نصوصي ضد النمطية، ضد كل أشكال النمطية. فالنص هو ما يجب أن يحدد الشكل القصصي، أي أن يكون الشكل الفني منسجما ومضمون النص: ان يكون للنص هوية في ذاته، لا أن يكون الشكل دلالة على هوية خارجية هي هوية كاتبه.

التقنيات والطرائق الأسلوبية والسردية يجب أن تنبعث من رحم النص الإبداعي، لا أن تفرض عليه من الخارج. لكل نص شكله الخاص وأساليبه الخاصة وطرائقه الخاصة.

هذا عن الشكل النهائي للنص القصصي أما عن مسار تشكل النص، فيجب أن أعترف أنني أكتب بـ" المجموعة القصصية " وليس بالنصوص الفردية المتفرقة. أفكر، أولا، في مبحث يتخذ شكل عنوان للمجموعة القصصية ثم تتفرع عناوين النصوص ثم تتناسل النصوص داخل مبحث واحد كان في مجموعتي القصصية الأولى " في انتظار الصباح " (٢٠٠٣) هو "الانتظار والفراغ والقلق الوجودي"، وفي مجموعتي القصصية الثانية " هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر " (٢٠٠٥) كان هو "العودة إلى البراءة"، وفي مجموعتي القصصية الثالثة "موسم الهجرة إلى أي مكان" (٢٠٠٦) كان هو الهجرة والتهجير بأشكالها الوجودية والشكلية، وفي مجموعتي القصصية القادمة "وراء كل عظيم أقزام" سيكون هو العلاقة بين الانبساط والاستبداد ...

### ١٣- امتلاك مشروع جمالي ونظري لكتابة القصة القصيرة مسألة حيوية.

أيهما أسبق، الإبداع أم التنظير؟

الحقيقة انني لا أستطيع الجزم في أسبقية هذا على ذلك. ولكنني أستطيع الجزم في القول ألا وجود للواحد في معزل عن الآخر أو غيابه. فكل قاص يمر بثلاث مراحل أساسية: أولها مرحلة التجريب والمسودات اللانهائية، وثانيها مرحلة البحث عن " المشترك " بين مسودات نصوصه ومحاولة وضع " إطار نظري " يضبط أعماله ويميزها، وثالثها مرحلة الدفع بالتفرد إلى أقصى مداها بالثورة على كل نمطية وعلى كل تعقيد... إنه ارتقاء من " الفكرة العابرة " إلى " التصور النظري المضمّن " إلى " المشروع الجمالي المعلن " والذي يبقى أرقى وأنضج أشكال التنظير في الكتابة الإبداعية عموما والكتابة القصصية خصوصا.

والمشروع الجمالي يلعب ثلاثة أدوار هامة في حياة القاص المبدع: الدور الأول يجعل من المشروع الجمالي ذاتا " مبدعة " لنصوص لا نهائية. فهو يرسم " الصورة الكبرى " ويترك للنصوص الفردية فرصة إبداع التفاصيل.

أما الدور الثاني فيتجلى في دور " الرقيب " الذي يمارسه المشروع الجمالي، بعد اكتماله ونضجه، على القاص. وقد تصل سلطة هذا " الرقيب " حد حذف كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة كاملة من نص ما... بل قد يبلغ هذا " الرقيب " من السلطة ما يجعله يؤجل نشر نص ما أو حتى إلقائه نهائيا في سلة المهملات...

أما الدور الثالث والأخير الذي يمارسه المشروع الجمالي المعتمد على القاص فيتمثل في ربط المبدع بالجنس الأدبي ربطا نهائيا وزواجا أبديا يعرف فيه هذا بذلك.

إن امتلاك مشروع جمالي ونظري لكتابة القصة القصيرة مسألة حيوية تكسب الإبداع القصصي وعيا جماليا أحاديا وخلفية ثقافية عميقة. وأعتقد أنني، ككاتب تجريبي، أسير في هذا الطريق.

### ١٤- القاص الحقيقي يعلم أن بداية النص ونهايته تنتظره في ضمن القارئ.



ومن خلال هذه الثنائيات، ينتصر النص القصصي لأحدهما على حساب الآخر مفصحا عن موقفه من الوجود وعن خلفيته الإيديولوجية وسنده السوسيو- ثقافي.

### **محمد سعيد الريحاني**

نص منشور في مجلة "عالم الغد" النمساوية الصادرة عن المركز الأكاديمي للدراسات الإعلامية وتواصل الثقافات - فيينا /  
العدد السابع- مارس ٢٠٠٦

وقد كان النص، في أصله، حوارا أدبيا أجراه معنا حصريا لفائدة منتدى مجلة "ميدوزا" الإلكتروني مترجم رانعة باولو  
كويليو "الكيميائي" ، القاص والروائي المغربي عبد الحميد الغرابوي.

## طائر الربيع

" انظر إلى كل شيء كما لو كنت تراه إما لأول مرة أو لآخر مرة. آنذاك ستصبح حياتك على الأرض مليئة بالسعادة".

بيتيه سميت

**Betty Smith**

عندما يحل فصل الربيع، لا أطلب غير الشاي في سطيحة هذه المقهى، وأستمع برؤية النادل يحمله لي في إبريق صغير يطل النعناع العطر من فمه. حتى إذا وضعه على المائدة قبالي، رفع يده إلى الشجرة فوق رأسينا وأقتطع منها زهرا طريا وأغمسه لي في الإبريق وانصرف.

عندما يحل الصيف وتكبر الشمس وتقرب، تدب الحماسة في المتحفطين والحذرين وتشتعل الروح في الأحياء وتنتفض الأجساد على جنبات البحار والانهار والوديان. آنذاك، أحب اللون الأصفر، لون الطاقة والحيوية والتجدد... وأشعر بالإنشاء . وعندما يحل الخريف وتتساقط أوراق الأشجار وبتلات الورود وهب رياح التغيير وتنخفض السماء الرمادية بثقلها لتحاوّر الحقول والوديان، آنذاك، أحب اللون البني: لون التغيير...وأشعر بالتجدد .

وعندما يحل الشتاء وتتساقط الأمطار وترتوي الأرض وتمنح حرية التعبير لصغار الفلاحين فيتنبؤون بمحصول الزراعة ويقارنون الغلات الممكنة بالغلات الفائتة... أشعر معهم بالحرية.

وعندما يحل الربيع ثانية، يحل الجمال في كل مكان: النحل والورد والعصافير والخضرة والدفء وصغار الحشرات وكبار الحيوانات وضعاف النباتات... كل يعانق حبيبة أو تتودد لحبيب وترجى ذرية . كل يلتحف بالخضرة ويتواصل بالأخضر. مع الربيع، تضحى الحياة خضرة على خضرة... وأشعر بالانبعاث، بالولادة من جديد.

الأرض تنبض بالتغريد والشدو. السماء تومض بالأجنحة الحية : الخطاطيف، رسل الحرية والتغيير، تخلق في كل مكان. لا يمكنك أبدا التكهن باتجاه طيراتها. إنها تنطلق ذات اليمين وذات الشمال، تسرع الإيقاع وتبطئ، تغير اتجاهها كما تريد، فرحة بالانبعاث...

الناس هنا يقدسون الخطاف ويحرمون صيده أو حتى طرده من سقوف بيوتهم. والنتيجة أن الخطاف يستمتع بالربيع حتى آخر ليلة. يخلق دون خوف. يطير دون قيود ويحط على الأشجار، على جبال الغسيل، على الأسلاك الكهربائية ويصق على رؤوس المارة ورواد المقاهي، على السطيحة، تحته ويظل ينتظر منهم رد فعل ما من نوع ما. لكن الناس تكتفي بمسح رؤوسها بأكفها وتبتسم حين ترفع عيونها إلى الأعلى وتتأكد أن الأمر لا يعدو كونه بصق الخطاف، طائر الربيع.

القصر الكبير، بتاريخ: ٤ أبريل ٢٠٠٥

نص منشور في صحيفة "العقائق" اللندنية، ٢٥/١٠/٢٠٠٥

## لكل سماءه

" المنطق يأخذك من ألف إلى باء. أما الخيال فيسافر بك إلى أي مكان."

ألبرت آينشتاين

**Albert Einstein**

على الأفق الوردي ، ترسو شمس المغيب باسطة، للتواصل مع الشاطئ، حسرا بلوريا يتلألأ على صفحة البحر الذي يداعب بأواجه الخفيفة قدمي الطفل الحافيتين: يدفعهما بلطف حين يتقدم نحو الصخور ويسحبهما معه حين يتراجع إلى زرقته، يدفعهما ويسحبهما، يدفعهما ويسحبهما...

سأل الطفل أباه مشيرا إلى البحر:

- أبي، أهنا تعيش القروش ؟

فأجاب الأب مطمئنا صغيره:

- نعم، ياعزيزي، ولكن بعيدا من هنا، هي تفضل المياه الدافئة في أعالي البحار.

- هي قوية !

- نعم: القرش هو ملك البحر ...

- وهنا في البر، من ملك البر ؟

- السبع، يا ولدي. السبع هو ملك البر والغاب.

- ومن الأقوى، السبع أم القرش؟

كان الطفل يبدو متحمسا للموضوع. ربما كان يتصور، أمام عينيه، كل سؤال وكل جواب قصة مصورة وينتصر لأحد شخصو الحكاية.

انتبه الأب للأمر فأجاب على السؤال بسؤال آخر:

- وكيف لأحدهما أن يتفوق على الآخر وكل يعيش في مملكته؟ السبع في الغاب والقرش في البحر. وحتى إذا ما حاول الواحد منهما أن يغير

على الآخر مات اختناقا إما على التراب، إذا كان قرشا، أو داخل الماء، إذا كان سبعا.

ابتسم الطفل راضيا وظل ينظر إلى البحر بأكبار وسأل:

- وماذا هناك في البحر؟

- الحياة.

لم يفهم الطفل قصد أبيه فاستدرك الأب الموقف:

- يوجد في البحر نفس ما تراه على البر حولك، يا ولدي: الجبال والهضاب والوديان والأغوار والأشجار والأحجار والنباتات والضيء

والظلام... إن الحياة هنا، في البر، تقابلها حياة موازية في البحر. وحيوانات البر تقابلها كذلك أسماك في البحر.

- وهل تتسع كل هذه التضاريس والأحياء والأشياء داخل البحر؟

- ما يوجد في البحر أكبر حجما وأكثر تنوعا مما يوجد في البر.

ضيق الطفل عينيه وهو ينظر بعيدا إلى الأفق:

- ولكن سطح البحر هادئ بلا تنوعات ولا رؤوس تطل من الماء!!!

- لا يغرنك السطح، يا ولدي.

رفع الأب بكفه وجه طفله الصغير إلى الأعلى وقال له:

- هل ترى تلك القبة الزرقاء الهادئة؟

- السماء، يا أبي؟

- تلك سماؤنا وسماء السباع. أما سطح البحر فهو سماء الأسماك والقروش.

ثم بعد فترة، أضاف:

- إذا خرج البحر من سطح البحر، سائهم، اختنقوا وماتوا. وإذا نحن، البريون، أطلنا برؤوسنا خارج سماءنا، احترقنا ومتنا!

ثم استطرد:

- لكل، يا ولدي، سماؤه. هناك أشكال من العوالم وأشكال من المخلوقات وأشكال من طرق التفكير وأشكال من سبل العيش... هناك

اختلافات لانهائية في هذه الحياة. وهذه الاختلافات هي سر الحياة الكبير ونبع غناها الأكبر. ولولاها ما كنا لنستمتع بهذه اللحظة وبهذه الوقفة على

هذا الجمال الذي سيجعلنا نعود للبيت أكثر تجرداً وأكثر سعادة.

كانت الشمس قد بدأت تسحب بساطها المضيء عن سطح البحر وتختفي رويدا رويدا في الأفق بين السماءين حين شعت السعادة في

حوارح الطفل وهو يعلن من وحي اللحظة الملهم:

- الحياة رائعة، يا أبي!

قالها وهو يضم يده إلى يد أبيه: الأب ينظر إلى السماء والطفل إلى البحر.

العرائش، بتاريخ: ٢٧ يوليو ٢٠٠٥

نص منشور في صحيفة "السفير العربي" الأسبوعية المصرية، في ١٠/١/٢٠٠٦

## حفل راقص

"الكثير من الناس يضيعون نصيبهم من السعادة، ليس لأنهم لم يجدوها، ولكن لأنهم لم يتوقفوا للاستمتاع بها"

ويليام فيذر

**William Feather**

البوليس يطوق المكان حفاظا على الأمن العام.

باب قصر المهرجان الضخم أغلق وفتحت بوية صغيرة في الجدار يقف شرطي في مدخلها: يتسلم التذكرة من يد الزائر، يقطعها إلى نصفين، يحتفظ بالنصف ويعيد للزائر النصف الثاني ثم يقتحم حسده تفتيشا وتلمسا ودلكا... حتى إذا لم تصادف يدها وخزا معدنيا تحت لباسه، دفعه بقوة إلى داخل البوية ليتفرغ للزائر الموالي في الطابور الطويل المنتظر على يسار الشرطي لولوج الحفل الذي سيبدأ بعد ساعات...

داخل قصر المهرجان، الباعة أكثر من الجمهور. أغلب الباعة أطفال يبيعون الشاي أو القهوة الجاهزة والشطائر المحشوة بالبيض والبطاطس المقلية والليمونادة بثلاثة أضعاف ثمنها خارج السور. لكن الناس والباعة تتصايح وتتنادى وتتبادل المال والشطائر والشكر واللاشكر على واجب... موسيقى أولية صاحبة اندفعت دون سابق إشعار من الأبواق الضخمة على المنصة حيث لازال التقنيون يرتبون الآلات الموسيقية وخيوط المايكروفونات ومصايح الإنارة. لكز أحد الزوار صديقه لمصاحبه لحلبة الرقص لكنه لم يلق تجاوبا:

- لم تبدأ السهرة بعد. هذا مجرد شريط موسيقي شغل فقط لملء الفراغ ريثما تحل الجوقة الموسيقية ويكتمل التجهيز على المنصة وتمتلئ المدرجات والكراسي بالعدد المتوقع من الزوار...

اقتنع الآخر وجلس يوقع برجله على الأرض متوترا أو مستمعا بالأغاني الصاخبة التي تغرق ضجيج الأطفال وهم يجرون في الحلبة والممرات وصياح الباعة وهم يتسلقون المدرجات بسطول الليمونادة الدافئة وسلال الشطائر الباردة يتخطون الزوار الجالسين الذين أنفقوا ما كان لديهم على تذكرة الدخول وجلسوا ينتظرون العرض بصبر غير مشكوك فيه...

على المنصة، اقتلع احد التقنيين المايكروفون لاختباره:

"آلو!... آلو!... أيوا... أيوا!... واحد!... واحد!..."

أحد الجالسين ذكرته العبارات الشذرية للتقني بخطابات الساسة والحكام ومحترفي السياسة، فصاح مقلدا:

"أيها الشعب الأبوي!... أيها الشعب الأبوي!... واحد!... واحد!... أيها الشعب الأبوي!..."

بعض مجالسيه من المخمورين استلقوا على ظهورهم من الضحك بينما أخفى الصحاة واليقظون وجوههم بين أكفهم خوفا من عنف محتمل هم في غنى عنه، وهم يتهامسون:

- الويل له! سيفسد لنا السهرة! حتما، سيفسدها...

بعضهم قام ليغادر المكان في اتجاه مكان آخر على مدرج آخر بينما انتفض الباقي على إيقاع أول أغنية للجوق الذي وصل إلى المنصة للتو. فيضان الحركة يتماوج في كل المدرجات. الحلبة تتماوج بالراقصين الهائجين، الممرات حبلية بالراقصات الخجولات من العيون الناقدة، والمدرجات ملامى بالعجائز والمعطوبين وضعاف البصر والأقزام الذين يجرسون مقاعد ذويهم من تطاول التائهين والقادمين الجدد وكل من استحلال عليه الحصول على موطن أست...

على الحلبة، الكل يرقص والكل يدور حول ذاته ويوقع إيقاعات تختلف عن إيقاعات الجوق وباقي الراقصين. النساء تراقصن النساء، والرجال

يراقصون الرجال. النساء تعانقن النساء والرجال يعانقون الرجال والأطفال تائهون عند أقدام الجنسيتين معا...

أحدهم خرق قانون الرقص العمومي وتقدم للرقص مع فتاة قبلت مصاحبته للتو، تحت أنظار ساخطة تحاول إيجاد تصنيف ساقط للفتاة السهلة ولكنها تترفع عن تصنيف الفتى الذكر...

الفتاة والفتى يرقصان مستمتعين بالإيقاع واللقاء. الفتى يوقع برجليه ككل الرجال، والفتاة تعتصر رديها ككل النساء وتغني النص الكامل للأغنية التي لا يحفظ منها الفتى غير اللازمة التي ينتظرها بفارغ الصبر كي يلتحق بها شاديا:

زيديني عشقا، زيديني

يا أحلى نوبات جنوبي

زيديني...

فيندمج مع اللازمة حتى يخرج عن ميزان الرقص لكن الفتاة تعيده إلى الميزان بمجرد لمسة وابتسامة على إيقاع سعيد وكلمة حلوة لمغن صار أحلى وهو ينادي عموم الراقصين:

- " لنرقص! فليس لنا غير هذه الليلة. لنرقص! فغدا سنمر أمام باب قصر المهرجان المقللة وستشعر جلودنا لتذكر هذه اللحظة السعيدة. لنعش سعادة ليلتنا هذه بعيون ومشاعر الغد... فلنرقص، ولنستمتع بالرقص!"

السعيدية، بتاريخ: ٢٠٠٤/٠٨/١٦

نص منشور في صحيفة "الزمان" اللندنية، ٢٠٠٥/١١/١٥

## اللقاءات الثلاثة

" لتحقيق إنجازات عظيمة، علينا ليس فقط الفعل بل الحلم كذلك، وليس فقط التخطيط بل الإيمان أيضا."

### أناتول فرانس Anatole France

لا أعرف لماذا يتسلل أبي خفية إلى الغرفة السفلية المهجورة كل فجر ويقفل الباب وراءه.

أتراه يتعبد؟

لكن العبادة لا تستلزم كل هذا الحذر.

أتراه يمارس طقسا سحريا؟

لكنه بلا أدوات: لا مجمر ولا محبرة ولا أعشاب ولا أثواب ولا أعضاء حيوانية...

هو يقرأ فقط. ومن خلال ثقب المفتاح على باب الغرفة يمكنني أن أرى بجلاء اهتمامه بالنص بين يديه. فحدقته متسعان، ورأسه أقرب إلى

الكتاب المهترئ بين يديه، والصفحات تنقلب بسرعة، وأنفاسه في صمت الفجر تسمع سريعة وغير إيقاعية ...

أتراه يتصفح كتابا إروسيا؟

ظللت أرقبه حتى انتهى من قراءته وطقوسه وأغلق الكتاب ثم وضعه في دولاب في خزانة مغبرة تركز على رجلين في الأمام وعلى الحائط في

الخلف. أغلق الدولاب بمفتاح فضي ثم وضعه في حقيبة قد ابيض سطحها غبارا. أغلق الحقيبة بمفتاح نحاسي ثم وضعه في علبة خشبية سحيقية القدم ثم أغلق العلبة ووضع مفتاحها الصغير تحت الحصير. فانسحبت إلى ظلام "المخيزن" لأفسح له المجال للانصراف الآمن ...

تابعت من الخلف وهو يصعد السلم درجة درجة ورأيت ينظر للساعة على معصمه: الساعة صباحا. لن يعود أبي من العمل قبل منتصف النهار

وهي فرصة كافية لإعادة قراءة كتاب أبي المفضل في المكان المفضل ولكن في غير الفجر ...

رفعت الطرف الأيمن من الحصير. تلمست بيدي الأرض تحته بحثا عن المفتاح الأول. وجدته. فتحت العلبة فتدققت رائحة الخشب القديم إلى

خياشيمي. انتشلت المفتاح النحاسي وفتحت الحقيبة. إلا أنني لم أجد في الحقيبة المفتاح الفضي! ... ولكنني رأيت أبي بأم عيني وهو يضع مفتاح الدولاب في الحقيبة! ...

حركت الحقيبة بقوة، سمعت صليلا معدنيا لعدة قطع في أجزاء خفية داخل الحقيبة. رفعت الحقيبة. نفضتها. تساقطت عدة مفاتيح منها.

حربت فتح الدولاب بالمفتاح الأول بالثاني بالخامس ...

أخيرا، انفتح الدولاب!

أخيرا، ها هو الكتاب اللغز!

هل هو مصحف؟

لا، الكتاب منسوخ بالخط المغربي ولكنه، قطعاً، ليس مصحفاً. ربما هو وصية لأن الكتاب يبدأ بشجرة الأنساب تتفرع في أعلى الصفحة وتتجذر في الأسفل. لكن اسمي العائلي يتكرر في كل فرع وفي كل جذر: هؤلاء، إذن، أجدادي وهذه خريطة الوصول إليهم.

الصفحات الموالية تحمل أسماء أجدادي كعناوين. أما النص، وهو في الغالب من فقرتين أو ثلاث، فيبدو بخط يد الجد المذكور في العنوان أعلى

كل صفحة. كل نص مخطوط بيد مختلفة. هذا يعني أن هذا الكتاب عمره قرون لأنه عايش كل أجدادي. وهذا وحده يشفع لحالته المتردية بفعل

الزمن ورطوبة المكان وشغب الأيدي الفضولية للأجيال المتعاقبة على قراءته وتدوين ملاحظاتهم ...

ماذا كتب الأجداد ؟  
قرأت الشهادة الأولى.  
انتفضت.  
قرأت الشهادة الثانية.  
تمكنت مني القشعريرة.  
قرأت الشهادة الثالثة، العاشرة، التسعين...  
أنا أرتجف.  
هل أنتمي لسلالة الملاعين؟  
هل هي اللعنة ؟  
هل كان كل أجدادي أشقياء ؟  
كيف تمكن الشقاء من سلالة بأكملها ؟  
كل أجدادي يقرون بخط يدهم بشقائهم وبؤسهم لعدم التزامهم بنص وصية الجد الأكبر الذي حدد لهم السعادة في عدم إغفال "الحاءات الثلاث".

أين الوصية، إذن ؟  
قلبت الكتاب صفحة صفحة. من اليمين إلى اليسار. من اليسار إلى اليمين...  
أين الوصية، إذن ؟ !  
الوصية يجب أن تكون في مقدمة الكتاب مادامت تحيل على الجد الأكبر!...  
الوقت لا يرحم والقلق يتمكن مني وأصابعي تفقد صوابها والكتاب المهترى يفقد خيوطه وأنا أفقد أعصابي ولا أنتبه إلا وأجزاء الكتاب قد انفصلت عن الغلاف وسقطت على الحصير وتناثرت أوراقه وسط زوبعة من الغبار وضجيج من السعال.  
في العجلة الندامة !...  
خرجت من الغرفة لأستطلع رد الفعل في البيت: لا أحد يهتم.  
ألقيت نظرة على الشمس: لا زال الوقت في صالحني.  
عدت إلى الغرفة ثانية.  
جلست هذه المرة على الحصير. سحبت أنفاسا عميقة لأطرد التوتر داخلي. أستنشق هواء جديدا. أزفر التوتر. أستنشق هواء جديدا. أزفر التوتر. أستنشق. أزفر...  
الآن، عاد إلي هدوئي وصار بإمكانني إعادة ترتيب الأوراق والأجزاء بين دفتي الغلاف: صفحة بعد صفحة وجزء بعد جزء... أوه!  
ها هي الوصية !  
ها هو لغز الألغاز !  
ها هو مفتاح السعادة !  
ها هي الحاءات: "الحاءات الثلاث"!...

#### (١) - حاء الحرية:

" جميعنا، يا ولدي، يمتلك خيطا رفيعا داخله يصله بالطفل الصغير الذي كانه: براءته وسعادته وخفته وشغبه الجميل في تنشيط السؤال وإباحة التجريب. لكن المعركة الوجودية بأسرها، يا ولدي، تتركز حول الإمساك بهذا الخيط. فإذا أمسك به غيرك أو رهنته إياه، تحركت بإرادة الآخرين ورقصت لرغبتهم وهدأت لسكونهم وبكيت لبكائهم... آنذاك، اعلم، يا ولدي، أنك صرت أرجوزة في يد غيرك أو دمية من دمي العرائس.

أما أن تمسك بالخيط فهذا ما لا يمكنك تحقيقه إلا عبر بوابة الحاء الثانية، بوابة الحلم: مرشدك لعالمك العميق، وصديقك الذي لا يأبه لقلبك فيضعك أمام المرآة ويعرض لك وجهك الحقيقي باسمك الحقيقي ومحيطك الحقيقي...  
فمرحبا بك، يا ولدي، في عالم الحلم: عالم الحقيقة!"

### (٢) - حاء الحلم:

" قد تكون ،يا ولدي، عاشقا للموسيقى والنغمة المخلصة من سطوة الصمت والحرس. وقد تكون عاشقا للتشكيلات اللونية المحررة للبصر من نطية الرؤية. وقد تكون عاشقا للشعر فتتحدد نبضاتك على وقع الصور المبتكرة والوزن الأصيل. وقد تكون أيضا عاشقا للفرجة التي تفتح العوالم الصغيرة على العوالم الكبيرة وتبدأ بالهزل لتنتهي بالجد ... لكن العشق، كل العشق، يا ولدي، هو أن تعيش حلما في غفوتك وتذكره كاملا في يقظتك. وهذا مالا يحدث ل" يا أيها الناس ": أن تتخلص من كل قوانين الطبيعة وتطير حرا كاليمام، خفيفا كالغمام، طليقا كالريح. أن تلقي جانبا كل قوانين المجتمع وتتعري كطفل فرحان بتعلمه المشي، وتجري مبتهجا في الشوارع الرئيسية غير آبه بقوانين السن والنوع والقبيلة والعرق... " العشق يا ولدي هو أن تعيش حاء الحلم."

### (٣) - حاء الحب:

" الحرية، يا ولدي، تستلزم تأطيرا وتنظيرا. والحلم يؤدي هذه الخدمة للحرية. لكن الحلم يتوقع فعلا واقعا يحققه على الأرض. وهذا الفعل الواقعي هو الحب. الحب، يا ولدي، رحلة لا تنتهي. إنه مغامرة تكسبك النضج. ومقياس النضج هو العطاء. فالحب عطاء من الوقت والمال والعقل والروح والجسد... ولذلك، فالحب، يا ولدي، تجل من تجليات النمو النفسي والعقلي والجسدي. ولكنك، يا ولدي، لن تحب ولن تستمتع بالحب ما لم تحب نفسك: أحب ذاتك قبل أن تحب الآخرين. عد إلى ذاتك. تعرف مزايك. راقب نقط قوتك. استمتع بجمالك أمام المرآة. تذكر لحظات السعادة والذكريات المشعة في حياتك. راجع معجمك الإيجابي وأسلوب خطابك المحبوب عند كل المجالس. افتخر بما تتميز به عن باقي الناس، فالاختلاف وحده مبرر استمرارية الوجود...

يا ولدي، أحب نفسك كي تحب الآخرين. إنك إذا امتلكت الحب حررت الأشياء من البشر، وإذا امتلكت السعادة أفرجت عن البؤساء من الناس، وإذا امتلكت النور أضأت ما حولك..."

الآن الساعة الثانية عشر زوالا.

طويت الكتاب.

وضعت الكتاب في الدولاب وأغلقتة بالمفتاح الفضي. وضعت المفتاح في الحقيبة. أغلقت الحقيبة ووضعت مفتاحها النحاسي في العلية. أغلقت العلية ووضعت مفتاحها الصغير تحت طرف الحصير.

خرجت وأغلقت الباب ورائي ثم صعدت لأنتظر أبي في غرفة الأكل.

وفي فجر الغد، كانت عيني على موعد مع ثقب مفتاح باب الغرفة السفلية لأرقب طقوس أبي التي لم تعد ملغزة قط. فمن الآن فصاعدا، عوض ان أركز اهتمامي على الكتاب بين يدي أبي ، سوف أركز على تفاعل أبي مع الكتاب بين يديه.

لكن طقس أبي، هذه المرة، كان مختلفا. فعوض أن يركز هو اهتمامه على قراءة الكتاب، كان يركز اهتمامه على قراءة بصمات الأصابع الصغيرة على سطحي العلية والحقيبة المغبرتين ويتمعن في الرجلين الحافيتين المختومتين جيئة وذهابا في اتجاه المفتاح تحت طرف الحصير... وانتبهت إلى عينيه فوجدتهما مركزتين علي، خلف ثقب المفتاح!

ربما غفا؟!!

لكنه يرمش باهتمام.

هل هو يراني؟!!

التفت حوالي وتأكدت أنني في الظلام. وعدت لأغرس عيني في ثقب المفتاح لكن الباب انفتح في وجهي ووجدت نفسي راكعا أمام أبي وهو يقاوم ابتسامه ماكرة:

- لقد أفلقتك يا ولدي بكثرة الضجيج!

ارتجلت جوابا قبل أن تشل المفاجأة لساني:

- نعم، يا أبي. ولذلك نزلت لأتحرى السبب.

ربت أبي على قفائي بكفه:

- حسنا، يا ولدي. تفضل وقم بتحرياتك على مهل.

ثم انصرف صاعدا السلم درجة تلو الأخرى.

أكادير، بتاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٠٣

نص منشور في صحيفة "الرياض" السعودية الخميس ٢٧ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٧٠٢

## مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي

" ليس ثمة أحد كرم لما يتلقاه. التكريم كان وسيبقى للذي يعطي."

كالفين كوديلج

Calvin Coolidge

" مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي ترحب بكم..."

هذه هي أول عبارة تقابلك قبل ست كيلو مترات من دخولك المدينة على متن سيارتك. ثم تتوالى الشعارات على السبورات الحديدية على

جانبي الطريق:

"من أجل مدينة حجاج بدون دور صفيح في أفق ٢٩٩٩"،

" من أجل مدينة حجاج بدون رشاوي في افق ٢٩٩٩"،

" من أجل مدينة حجاج بدون بطالة في افق..."

" من أجل مدينة حجاج بدون سجون في..."

" من أجل مدينة حجاج بدون ..."

" من أجل حجاج ..."

" من أجل..."

" ..."

وصلت، أخيراً، إلى مركز المدينة بعد قراءة كل الشعارات المؤدية إليه. نزلت من السيارة لأتمشى قليلاً ريثما يحل وقت الندوة التي جئت لحضور أشغالها. مشيت مع "بوليفار" الحجاج بن يوسف الثقفي حتى إذا وصلت سينما الحجاج بن يوسف الثقفي توقفت طويلاً عند أفيشات الأسبوع المقبل المزمع عرضها داخل القاعة" أفلام تاريخية عن إسهامات الحجاج بن يوسف الثقفي في توسيع رقعة بلاد الإسلام.

دسست يدي في جيب بنطلوني لأتجول على مهل في شوارع مدينة أستكتشفها لأول مرة. ثم واصلت السير بين وكالات تأمين الحجاج بن يوسف الثقفي وصالونات حلاقة الحجاج بن يوسف الثقفي ومقاهي الحجاج بن يوسف الثقفي واستوديوهات تصوير الحجاج بن يوسف الثقفي ومحلات الحجاج بن يوسف الثقفي وملبئات الحجاج بن يوسف الثقفي ومصنات الحجاج بن يوسف الثقفي وحنات الحجاج بن يوسف الثقفي وفنادق الحجاج بن يوسف الثقفي ومخازن الحجاج بن يوسف الثقفي ومرائب الحجاج بن يوسف الثقفي وبقالة الحجاج بن يوسف الثقفي ومساجد الحجاج بن يوسف الثقفي... حتى خلصت إلى الساحة الكبرى: ساحة الحجاج بن يوسف الثقفي وتتوسطها نافورة عاجية رائعة التصميم، نافورة الحجاج بن يوسف الثقفي. لكن ما أثار انتباهي هو خلاء المكان من المارة إلا من أفيشات ملصقة على جدران المباني المجاورة. اقتربت منها لقراءتها:

" تنظم جمعية الحجاج بن يوسف الثقفي للثقافة والتنمية والعدل والتربية والثقافة والإعلام والتواصل والرياضة وحقوق الطفل والمرأة والأقليات ندوة

تحت عنوان: "الصورة المضيئة للحجاج بن يوسف الثقفي، العادل المستبد".

اقتحمت باب الندوة على آخر عبارة لآخر متدخل في الندوة:

"رحم الله الحجاج، ما أعدله!"

وتعالت موجة عالية من التصفيق الحار الحقيقي لأيدي حمراء من فرط الجهد وعيون دامعة تعبر بصدق عن أدمغة لم تقرأ ولم تر ولم تسمع في يوم من الأيام بغير الحجاج بن يوسف الثقفي.

**الرباط، بتاريخ: ١٥ يوليوز ٢٠٠٥**

**نص منشور في صحيفة "المفاتيح" اللندنية، بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/٣١**

## فخامة السيد الرئيس الحبيب الحي ديمما

"ليس هناك إنسان، في تاريخنا البشري، عاش حياة بدخ وورحاء استحق اسمه التذكار والتذكار."

تيودور روزفلت

Theodore Roosevelt

"حاز ليلة أمس الأستاذ سيف الدولة الحبيب الحي ديمما على الجائزة الكبرى لفخامة السيد الرئيس الحبيب الحي ديمما لهذه السنة في حفل يهيج حضره معالي السيد الوزير معاوية الحبيب الحي ديمما وحضرة السفير نظام الملك الحبيب الحي ديمما والناطق الرسمي باسم البلاد السيد عبد الملك الحبيب الحي ديمما.

وقد نال الأستاذ سيف الدولة الحبيب الحي ديمما جائزته تحت تصفيق عاصف من إعجاب عموم الجمهور وكبار رموز الدولة وهو ما أثر نفسياً على الأستاذ الحائز على الجائزة الكبرى خلال إلقائه كلمته بشأن اختياره لنيل الجائزة من خلال بحثه الرائد المعنون "التبرك باسم فخامة رئيس البلاد ضرورة لتنمية الاقتصاد وتوحيد وجهات العباد" قبل أن يجهد بالبكاء ويرفع يديه متضرعاً لله أن يحمي فخامة السيد الرئيس الحبيب الحي ديمما من كل مكروه يترصده ويترصد البلاد.

وضع الزبون الأجنبي الصحيفة المحلية المكتوبة بلغته الأم على مائدته. رشف رشفة سريعة من كوب قهوته. نادى على النادل. وضع في يده بضع دريهمات ثم انصرف تاركاً النادل وراءه يسمع للمتبقين من الرواد ممن لا يدفع له البقشيش كرم الأجنب وشح ذوي القربى.

عند منعطف الشارع، رفع الرجل الأجنبي يده لسؤال أحد المارة من أبناء المدينة:

- من فضلك، أين يمكنني أن أجد مؤسسة فخامة السيد الرئيس الحبيب الحي ديمما للثقافة؟

توقف الشاب. حك صدغه بسبابته. تذكر، أخيراً، قن المسار ثم:

- واصل سيرك على هذا الشارع، "شارع السلطان عبد الملك"، ثم انعطف يساراً على "شارع نظام الملك"، بعد مئتي متر. ثم در يمينا على "شارع الخليفة معاوية"، ثم يساراً على "شارع سيف الدولة"، ثم يمينا على "شارع الملوك الثلاث"، ثم يساراً على "شارع الوزير جعفر البرمكي"، ثم يمينا على "شارع الوالي عمرو بن العاص"، ... ثم يساراً على... ثم يمينا على...

قاطعته الأجنبي وقد اختلط عليه الحابل بالنابل ونسي كل الاتجاهات وضاع في سيل أسماء الأباطرة والسلاطين والأمراء والرؤساء والزعماء والقواد والولاة ومحترفي السياسة والتسيير:

- اعذربي، لقد تعطلت ذاكرتي بسبب كثرة الأسماء والشوارع ...

- ليس في الأمر مشكلة. مدينتنا مترامية الأطراف وشوارعها أكثر ...

- أليس في بلادكم علماء ومفكرين وفنانين ورياضيين عظماء؟

- لم يفهم ابن البلد دلالة السؤال، فأجاب عن السؤال بسؤال مواز:

- لماذا؟!

تأمله الأجنبي برهة ثم أضاف لمنظومة الأسئلة قطعة استفهامية جديدة:

- هل لديك إخوان أو أبناء أو أقارب ...؟

- نعم.

- ما هي أسماءهم؟

- عبد الملك، معاوية، سيف الدولة، نظام الملك...

اندهش الأجنبي :

- حتى في أحلامكم وداخل قرارة نفوسكم وفي أعماق بيوتكم؟!...

انتبه ابن البلد أن الأجنبي مشبوه فيه وأنه مدسوس وأنه عميل استخباراتي يحاول التجسس عليه وأنه لا نية له في معرفة شارع أو ساحة...  
فعلت الصفرة وجهه وبدأ الارتعاش يساوم أوصاله فوثب وثبة كاد يسقط عقبها ثم انطلق هاربا من أسئلة الأجنبي فبدت جريته هجينة رخوة توحى  
للناظر بثقل الأسماء الكبرى على هيكل الأجساد المنهكة في سعيها نحو طوق النجاة.

الرباط، بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٧/١٤




نص منشور في صحيفة "القدس العربي" اللندنية بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٩/٢٩

## تنمية

" من يأخذ نفسه دائما مأخذ الجدد يغامر دوما بأن يصبح مثيرا للسخرية. لكن من يسخر من نفسه باستمرار يتجنب ذلك المصير."

فاكلاف هافل  
Vaclav Havel

### الشعارات من قلب التظاهرة :

- القمع لا يرهبنا  والقتل لا يفنينا
- وشرعية مطالبنا  تذكى النضال فينا
- لا تعبير، لا تشغيل  لا تربية لا تنمية

### البوق:

"أيها المتظاهرون ! هذا تجمهر غير مشروع وفعل غير مرخص له وإخلال بالأمن العام. ولذلك أمامكم دقيقتان للانسحاب في هدوء وإلا ستتدخل قوات الأمن لتفريقكم بالقوة ...

أيها المتظاهرون ! هذا تجمهر غير مشروع وفعل غير مرخص له وإخلال بالأمن العام، لذلك أمامكم دقيقتان للانسحاب في هدوء وإلا ستتدخل قوات الأمن لتفريقكم بالقوة ...

أيها المتظاهرون ! هذا... ولذلك... وإلا..."

### الحوامات تمطر مناشيرا:

- أنظر إلى السماء !
- لماذا كل هذه الحوامات؟!
- سيقصفوننا !
- لا، هم فقط يصوروننا !
- لكن أنظر: هم يلقون بآلاف الأوراق في الجو!
- أوراق مالية؟
- لا، حجمها أكبر على ما يبدو...
- مناشير؟
- ولكن نحن من يجب عليه توزيع المناشير وليس الحوامات...
- ها هو المنشور الأول .
- أوه، هو بيان ! ...

## قراءة البيان:

أيها الشعب الأبي! أيتها الجماهير الحرة! أيها النشامى! الوطن يناديكم ويشد على أياديكم ويزف لكم هذه البشرى: التنمية لهذه السنة ارتفعت بنسبة مئة بالمئة وذلك بسبب انفتاح أسواق جديدة في كل ربوع العالم وارتفاع الطلب على منتوجاتنا من بائعات الهوى ونبته السعادة... وهذا سيؤثر إيجابا على سوق العمل الداخلي ليستوعب كل النشيطين. أما غير النشيطين فسيتلقون تعويضا يوميا عن العطالة: موسم واحدة وربطة واحدة من نبتة السعادة.

أيها النشامى، طوبى لكم والمجد والخلود للوطن...

## الذهول:

!.. -

!.. -

!...-

طنجة، بتاريخ: ٢٤ يوليوز ٢٠٠٥

نص منشور في مجلة "الفضاء" العراقية بتاريخ ١٨ جينبر ٢٠٠٥

## إخراج تافه لمشهد تافه

" أصعب عملية حسائية هي التي تمكننا من عد حسناتنا "

إريك هوفر

**Eric Hoffer**

### اللافتات على الشوارع:

تقيم جمعية " الخلود " للتربية والثقافة والفنون والعلوم والتكنولوجيا والرياضة والبيئة والطفولة والعمل النسوي محاضرة تحت عنوان: " حرية التعبير: الكائن والممكن"، يلقيها أستاذ الأجيال أجمد هوزحطي بعد غروب الشمس على المركب الثقافي خلف قصر البلدية بالمدينة.

### كواليس العرض:

" انتبهوا، أيها الإخوة المناضلون. نحن نعمل والأعين تترصدنا والآذان تعد لنا دقائق قلوبنا وزفير رثاتنا.إننا نعمل تحت تهديد الكثير من الأخطار الخارجية التي تفرض علينا التأهب والاحتراس. جمعيتنا قشة في محيط من الأخطار. وإذا ما وعينا بذلك تغلبنا على الصعاب واستحقنا الانتماء لهذه الجمعية واستطعنا إعطاء المثال. يجب أولا أن نتعرف على مكان النشاط ونضع تصورا لشكل العرض: مكان الضيوف المؤطرين ومكان الجمهور. أجلسوا الضيوف الذين يمكن أن يغنوا النقاش إيجابيا في الصفوف الأولى، وراءهم الحسناوات ثم باقي النساء وفي الخلف باقي الذكور كبارا وصغارا. أما نحن فسنوزع على لجان. أنتم لجنة توزيع الحضور على المقاعد. وأنتم لجان " اليقظة ": مراقبة الأبواق، الإنارة، كتابة المقترحات على الأوراق، والأهم من كل ذلك تحديد لائحة المتدخلين فلا تسمحوا إلا للمتدخل الذي تختارونه أو الذي تعرفون سلفا أن خطاب الجمعية سيمرر من خلاله وعلى لسانه. أما أنتم فستكونون لجان " المداخلات " وملء الفراغ الذي ستركه كلمة الضيف المحاضر: أنت المتدخل رقم واحد، وأنت المتدخل رقم اثنان، وأنت المتدخل رقم ثلاثة وأنت المتدخل رقم أربع... أهم ما يمكن أن تركزوا عليه هو عامل الوقت: خذ راحتك وأنت تأخذ الكلمة واثن بالمديح على جمعيتك ومشروعها وفعاليتها وأعضائها وباختياراتها الرصينة... حتى إذا ما انتهيت أكمل رفيقك البناء واقتنع الجمهور بتكرارية المداخلات وقطعنا على الأشرار كل نواياهم الشريرة في تعكير الجو الاحتفالي علينا...

### دخول المدعوين ( وصف صحفي ):

...

...

...

### بداية العرض:

...

...

...

### كلمة أجمد هوزحطي :

...

...

لائحة المداخلات :\*المدخلة الأولى:

في البداية. أود. أن. أشد. بجرارة. على. يد. جمعيتنا. العتيدة. على. مجهوداتها. الجبارة. فداء. للمصداقية. و. الإشعاع. و. التنوير. تحت. قيادة. السيد. رئيس. الجمعية. أطال. الله. في. عمره. و. أدام. على. الجمعية. سديد. أفكاره. و. لا. يفوتني. أن. أهنيء. الجمهور. الكريم. على. هذا. العرض. التاريخي. الذي. س. يتذكرونه. ما. داموا. على. قيد. الحياة. وشكرا.

\*المدخلة الثانية:

تحية للأستاذ أجد هوزحطي الذي تفضل مشكورا بهذا العرض الشيق والرصين، في آن، عن حرية التعبير. وأنا لما أقول الشيق والرصين فأنا لا أقصد اللعب على الألفاظ والجمع بين المتضادات بقدر ما أقصد قدرة الأستاذ المحاضر على الإحاطة بكامل جوانب الموضوع. بمعنى آخر، شمولية الرؤية للموضوع. وأنا لما أقول شمولية الرؤية للموضوع فأنا لا أقصد استعارة معاجم الفاشية والأنظمة الشمولية بقدر ما أقصد الرؤية المتعالية عن كل إيديولوجيا أو تحيز مسبق. بمعنى آخر الحقيقة. وأنا لما أقول الحقيقة، فأنا لا أقصد ... بقدر ما أقصد ... بمعنى آخر... وانا لما أقول... فأنا لا... بقدر ما... بمعنى آخر...

\*المدخلة الثالثة:

قبل كل شيء، أود في البداية، أن أقول، بكل ثقة في النفس، أنه ، حسب رأيي المتواضع، وأنا لا أدعي علما، أنه، فضلا عما سبق التطرق إليه والتفصيل فيه في هذه المحاضرة القيمة الغنية والمفيدة، يمكن كذلك القول والجزم، مع قليل أو كثير من التحفظ، وليس في ذلك حرج ، أنه كان بالإمكان، وهناك دائما إمكانيات، إضافة أشياء أخرى، وشكرا.

\*المدخلة الرابعة:

من حيث المبدأ، ليس هناك أبدع مما قيل. خاصة وأنه كان يجب كذلك دونما من حيث هو فضلا عن ذلك ولعل ما أو ربما صار وشكرا.

\*المدخلة الخامسة: ( غير مبرمجة )

...

...

...

تلاسن بين رئيس الجلسة والمتدخل الخامس:

الرئيس - شكرا للأخ المتدخل، كلمتك وصلت.

المتدخل - عذرا، سيدي، أنا لم أكمل كلمتي بعد.

الرئيس - ألا زال في حوزتك ما تقول ؟

المتدخل - نعم، هذه فقط توطئة.

الرئيس - توطئتك وصلت ونشكرك على المشاركة.

المتدخل - يا سيدي، لا تقاطعني فضلا.

الرئيس - أنا لا أقاطعك، أنا أوقفك. انتهت مداخلتك.

المتدخل - أنا أتمسك بحقي في إتمام كلمتي والاستفادة من نفس المدة الزمنية التي تمتع بها المتدخلون قبلي.

الرئيس - انزعوا عنه الميكروفون! من أعطاك الحق لتقحم اسمك في اللائحة؟!

المتدخل - حضوري يعطيني كامل حقوقي لممارسة النقد وإسماع صوتي ولهذا نحن جميعا هنا.

الرئيس - انزعوا الميكروفون من يده!  
تعقيب الأستاذ المحاضر الدكتور أمجد هوز:

...

...

التقرير الصحفي لجزيات النشاط الثقافي:

...

...

...

ملتقى السيد رئيس الجلسة:

نرجو من مراسلي الصحف الحاضرين معنا في هذه الأمسية عدم جعل الملائمة مع المتدخل الأخير موضوعا يجعل القراء الذين لم يعاينوا هذا النشاط الناجح يعتقدون، عند قراءة التغطية على صفحات الجرائد، أنه كان مجرد مشاحنات ومهاترات بين الحضور والمنظمين.

التقارير الصحفية لجزيات النشاط ، معدلة:

...

...

...

الكلمة الختامية للسيد رئيس الجلسة:

أيها السيدات، أيها السادة. فنهتكم على هذا النجاح الباهر، على هذا الانضباط المسؤول. وعلى أمل اللقاء القريب في نشاط قريب قادم أكثر إشراقا وإشعاعا، لتتفرق بنفس الهدوء الذي فطرنا عليه جميعا وبنفس الانضباط الذي نعطي به المثال الصارخ لكل العالم. لتتفرق بوعي ومسؤولية ولنستحضر مع كل خطوة نخطوها نحو بيوتنا هذا النجاح الباهر، هذا المكسب الأصيل الذي يجب أن نحافظ عليه، وأن نردد في قرارة أنفسنا، ونحن نخطو نحو بيوتنا، هذه الحكمة البليغة:

" وراء كل فعل ناجح انضباط وهدوء".

تطوان، بتاريخ: ٢٩ مارس ٢٠٠٤

## شيخوخة

" كل إنسان يحمل داخله خيرا سارا. الخير السار هو أنك لا تعرف قدر عظمتك! ولا حجم ذخيرتك من الحب! ولا ما يمكنك إنجازه! ولا تعرف حتى إمكانياتك!"

أنليز ماري فرانك

**Anneliese Marie Frank**

### في صالون الحلاقة :

- خفف لي أكثر !
- لا يمكن ! ستبدو أقل جمالا لأنك فقدت الكثير من الشعر على جانبي رأسك وفي الأعلى...
- هل لديك فكرة عن تساقط الشعر؟
- الفكرة التي تدور في دماغي الآن هي أنك شخت !
- وكيف تعرف الشيخوخة، أنت الحلاق ؟
- بالشيب الذي بدأ يشتعل في شعرك وبهذا الزغب الغزير المثل من أذنيك!

### في محل الفيديو - كلوب:

- من فضلك، فيلم ل " شيشكابور"!
- تفضل، شاهد لقطه من لقطات الفيلم لتقف على جودة التسجيل على الشريط.
- ولكن هل صار "شيشكابور" يمثل دور الجد؟!
- هنا يمكنك أن تعرف كيف تقدم بك الزمن!
- وكيف تعرف أنني شخت وأنت لا تعرفني. بل إنك لم ترني في يوم من الأيام؟ !
- الأمر لا يتعلق بضرورة الإطلاع على وثائق الهوية أو على المعرفة الشخصية بالفرد. لا. مطلقا، لا. إن إعجابك بممثلين تحولوا من أداء أدوار الشباب إلى أداء أدوار الشيوخ حيث يجدون أنفسهم هو الدليل القاطع على أنك شخت معهم!!!

### في نادي الموظفين:

- هذا يحتاج إلى وقت وإلى عزيمة... وأنا لا أستطيع توفيره الآن.
- نعم، خاصة حين يشيخ المرء.
- وكيف عرفت أنني شخت؟!
- بهذا البطن المترهل المتدلي فوق حزامك الجلدي!...

### في الشارع الرئيسي:

- أهلا ب....!
- هل نسيت اسمي، أنا أعز أصدقائك في الجامعة؟!

- أمهلني قليلاً... اسمك على طرف لساني...  
- وهنا يمكنك أن تعرف أن الزمن مر بسرعة وأنت شخت!...  
- هل مجرد نسيان اسم دليل يحيل على الشيخوخة؟!  
- الساعة الصغيرة على معصمك تعد الدقائق والساعات بالعقارب. أما الساعات الكبرى والزمن الكبير فلا يشغل عقاربه لعد الدقائق والساعات بل يشغلها نحو الذكريات والصور والأسماء. وكلما تقدم المرء في السن، كلما ضاعت ذاكرته ورموزه تحت نحو الصامت لعقارب الزمن...  
الزمن...

#### حوار مع أحد الغرباء عن المدينة:

- لماذا يصر الناس هنا على شيخوختي؟  
- لأنهم جميعاً شيوخ.  
- لكنهم مهووسون بالشيخوخة!  
- لأنهم لا يرون شباباً.  
- أليس لديهم شبانا وشابات؟!  
- الشبان هنا يهاجرون. فمنذ بلوغهم سن الرشد الأول يبدؤون العد العكسي لبلوغ سن الرشد الثاني، السن القانوني للهجرة.  
- وإلى أين يهاجرون؟  
- إلى حيث الشباب دائم لا يبلى.

القصر الكبير، بتاريخ: ٧ أبريل ٢٠٠٥

نص منشور في صحيفة "الثورة" السورية بتاريخ ١٧/٠١/٢٠٠٦

## جون جونييه: بين البحر والسجن والمقبرة

"حين تهدي أحدا كتابا، فإنك لا تهديه فقط ورقا ومدادا وغراء. إنك تهديه إمكانية عيش حياة جديدة."

كريستوفر مورليه

Christopher Morley

اسودت السماء وازداد سوادها قتامة بتزول السحب الحبلي حتى مستوى الأشجار الحائرة تحت هياج الرياح. الكون يتمزق ضياء بين الفينة والفينة والرعد يزجر في كل مكان. والظلام يحتوي الوجود رويدا رويدا.

رونيه، ضيفي الفرنسي، غير محظوظ. رونه حل ضيفا علي لمساعدته في إنجاز بحثه المعنون: "جون جونييه : بين البحر والسجن والمقبرة"، وهو أطروحة لنيل الدكتوراة لكنه يعتزم من خلاله دخول عالم الكتابة والطبع والنشر. وقد وعدني بتخليدي على صفحة الإهداء حين يصدر البحث كتابا.

إقامته معي ستدوم أسبوعا. لكن تخمينات النشرة الجوية للأسبوع الحالي تتوقع تساقطات مطرية كبيرة وانخفاضا كبيرا في درجة الحرارة وهو ما سيحصر إقامته معي في مقهى على الشرفة الأطلننتيكية، قبالة البحر، أو في إحدى غرف بيبي في "كاريان اجنان باشا".

جون جونييه، بين كل مدن الدنيا، كان يبحث عن مدينة تجمع محطات حياته الثلاث في مثلث متساوي الأضلاع : السجن حيث قضى سبع سنوات من حياته، والبحر متنفس الصدور بعد كل ضيق، والمقبرة غرفة النوم الأبدي لكل المتعبين...

بين كل مدن الدنيا، لم يجد جون جونييه سكنا يطل مباشرة على مثلثة الوجودي إلا في هذه المدينة. ولهذا اشترى ذلك المنزل هناك حيث كان يقضي معظم وقته تحت قبعته متأرجحا، طول الوقت، على كرسيه الهزاز يرقب من الشرفة زوايا المثلث متنقلا بنظره من المقبرة حيث أوصى بدفنه، إلى السجن على اليمين، إلى البحر الممتد إلى مالا نهاية له ثم إلى المقبرة ثانية وثالثة ورابعة...

كان ضيفي، رونه، يدون كل ما أتلفظ به. وكانت أساريره منفرجة وكان سعيدا رغم الجو الكئيب ورغم سواد المظلة المشتركة الذي كان يجتمل أن يجعل إحساسنا بالكآبة والسواد مضاعفا.

المطر يهطل بغزارة وهدير البحر يملأ الكون صخباً ولا مجال للتجول في الشوارع والطرق...

دعوته للذهاب للاحتماء بيبي فاستجاب .

هذا هو حيي: "كاريان اجنان باشا"، بعيدا عن مثلث جونييه، لكن رونه، ضيفي، لم يكن سعيدا أو ربما فترت سعادته أو ربما هو متعب.

نزلنا "الكاريان" في مسالك ملتوية ضيقة كما نازل حافة نهر وادي المخازن... كان رونه صامتا يتبعني من الخلف يخطو حيثما خطوت ويتوقف حيثما توقفت للاحتماء من نوبة مطرية عاصفة...

تفضل! مرحبا! هذا هو بيتي...

رفع رونه عينيه إلى الجهة التي نزلنا منها حيث العمارات الشاهقة وفنون المعمار والبناء والتعمير، واستدار بنظره من اليمين إلى اليسار فبدأ له حبي مثل مجمر وقوده الناس والبراريك والأزبال. وبدأ الخجل يخامرني...

فتحت الباب وأضأت المكان.

سألني رونه متعجبا:

- هل لديكم كهرباء؟

- طبعاً. هنا، يمكنك أن تسكن في أي "كاريان" وسيأتيك الماء والكهرباء وكل الحقوق حتى باب بيتك.

جدران الغرفة ازدادت برودة عما كان عليه الحال صباحاً.

الجدران انتفخت وطفت عليها حضرة خفيفة. الصور الكبيرة الملونة المعلقة باللصاق المائي قد انفصلت زواياها عن الحائط فقد تحولت من بورتريهات إلى منحوتات بفعل رطوبة المكان المبدع...

أدركت أن ضيفي مستاء للغاية من جو الضيافة. لم يعد يسأل عن جون جونه. هو فقط يحمق في شكل المكان ويحاول تسمية مرافقه. قال سهواً وهو يتحسس الصدا الذي علا شبك النافذة الوحيدة الصغيرة المطلة على الخارج:

- هل شاهدت فيلم "الهاربون من اركاتراس"؟

أجبت آلياً:

- نعم. ولكن السجن سنخرج لرؤيته بعدما يصحو الجو. نحن رأينا فقط المقبرة والبحر ومزل جون جونه...

اندهش رونه وجعد جبينه غير مصدق، قائلاً:

- هل بعد كل هذا، لازالت هناك سجون وراء "الكاريانات"؟!

ازداد غضب المطر.

المطر، الآن، لا يهطل: المطر، الآن، يركل السقوف...

المطر، الآن، يبصق على زجاج النوافذ.

المطر، الآن، يمسح كل الأسماء على الألواح.

المطر، الآن، يمسخ كل الشعارات على اللافتات.

المطر، الآن، يمسخ كل شيء...

العرائش، بتاريخ: ٢٦ يوليوز ٢٠٠٥

نص منشور في مجلة "ألف باء" العراقية بتاريخ ٢٠٠٦/٠١/٣١

## الرجل الأرنبج

" إذا ما عاملت إنسانا كما يبدو لك فستجعله أسوأ مما كان عليه. وإذا عاملت إنسانا حسب الصورة التي يطمح هو أن يكونها، ستجعل منه ما يطمح هو إليه."

غوته

### Johann Wolfgang von Goethe

الأصدقاء يطلبون الكرة على الرأس وهم في معترك الخصم قبالة الرمي لكنني فضلت استعراض مهاراتي الفردية أمام مدافعين خشنين أرسلاني إلى الهواء بضربتي مقص فكان علي، وأنا في الهواء، أن أحدد جهة الأرضية التي سأسقط عليها وجهة جسمي التي سترتطم بها، فضلت السقوط على ساقى و... تكسرت.

حملني اللاعبون، زملاء وخصوما، بالتناوب إلى أقرب طبيب للعظام.

الطبيب المحلف لدى المحاكم اشترط تسلم المال قبل إجراء العملية الجراحية على ساقى المكسورة ثم طردني في منتصف الليل بعيد العملية وأنا لا أزال تحت تأثير التخدير وأعطاني موعدا بعد شهر تام الكمال.

طيلة شهر كامل، لم تطأ قدمي حماما. الثبونة تبعث من حسدي على بعد أمتار طويلة من مكاني. صرت أحجل حتى من مجالسة أقاربي. أما في الكلية فصرت أكثر انطوائية وأضحيت أفضل الجلوس وحيدا في آخر المدرج تحت فعل الإحساس بالنتونة.

انتهت المهلة، أو الموعد. عدت ثانية إلى الطبيب المحلف لدى المحاكم كي يفسخ لي الجبس. لكن ساقى اليسرى ظهرت أقصر من الساق الثانية ثم إن ركبتى اليسرى لا تتنهي!

سبقني الطبيب المحلف لدى المحاكم إلى الحل السحري:

-الآن، يمكنك الذهاب إلى الحمام. هناك، ستعود ركبتك للعمل...

-وساقى القصيرة؟!

-إذهب أولا إلى الحمام. بعد ذلك سنرى مع قصر الساق...

ذهبت فرحا إلى الحمام ثم عدت إليه ثانية في اليوم الموالي ثم في اليوم الثالث ثم...

قضيت أسبوعا كاملا في التردد على الحمام العمومي حتى انتبه القيم عليه لمواظبي اليومية على الاغتسال. وبدأت أسمع يهمس في أذنه صاحبه: - هذا أعرفه. هو غير متزوج. لكن لماذا كل هذا الاغتسال!!!

عدت إلى عيادة الطبيب المحلف لدى المحاكم. كان وحيدا في مكتبه منهمكا في حساب الفواتير حين أفرغته بسؤالي:

- لماذا عوجتني؟

- أنا لم أعوجك. كل وحظه. العملية الجراحية دائما تسعة وتسعون في المئة نجاح، وواحد في المئة فشل...

- وماذا سأفعل الآن برجل واحدة في الأرض ورجل ثانية في الهواء!!

- المهم أنك تمتلك ساقين مثل كل الناس...

- سأقتلك، أيها الوغد!

- أغرب عن وجهي، أيها الصنديد!

ثم طاردني بساطور في يده اليمنى ومطرقة في يده اليسرى لكنني كنت أقفز كالأرنب هاربا من القصاص: أستقيم على الساق القصيرة ثم أدفع بنفسي في الهواء بالساق الطويلة فأجد نفسي قد قفزت تسع زليجات ثم تسع آخر ثم ... ثم ... ثم ...

لم أتوقف إلا وأنا بين رفقائي في الحرم الجامعي ففاجأهم:

- أنتم شهودي ...

- على ماذا؟

- الطبيب مسخني وسأحضر لمقاضاته وإلا سأقتله أو يقتلني...

- حذار أن تدخل في خصام مع الطبيب. هو يعرف كل الأدوية وكل السموم. ثم إن الموت بالنسبة له هي حالة عادية. الموت الذي نخافه هو

عنده مجرد حالة. والموتى الذين نجلهم هو يقضي يومه يتعثر في جثتهم. إذا دخلت في عداوة معه، فقد يحقنك بحقنة واحدة فيحنطك مثل أفعى أو تمساح...

لم أفهم.

هل سيخذلني أصدقائي؟! ...

سمعت أحدهم يردد وهم ينصرفون، جميعا، بعيدا عني:

- هذا قدر الله! ...

أحسست بالعالم يتغير أمامي...

عواطفني تتغير داخلي...

إدراكي يتغير، رؤاي، قناعاتي، تربيتي، آمالي...

هل خذلني أصدقائي؟! ... ووجدتني أهس لنفسي:

كيف؟!!

هل ضعت في ساقتي؟!!

هل سأتعلم حياة جديدة؟!!

هل أقبل بحياة الأرانب؟!!

الدوار ينتابني:

- هل صار لزاما علي أن أقبل بدور جديد في حياة جديدة كأرنب؟

الدوامه تتملك الكون أمام عيني:

- هل أصبحت أرنبا؟!

ثم وجدت نفسي أصبح مجردة من يغرق في دوامة من الوحل ويرى نهايته ويمسها:

- تعالوا، أيها الأصدقاء!

لكن الأصدقاء واصلوا ابتعادهم كلما واصلت التوسل:

- اجيبوني ثم انصرفوا إن شئتم: هل سأحيى بقية حياتي هكذا؟

لكن الأمر لم يكن يهم أحدا غيري:

- اجيبوني من فضلكم. أيها الأصدقاء، إلى أين أنتم ذاهبون؟ هل تتركوني أنتم أيضا؟...

لكنهم استمروا مبتعدين، صامتين .

نظرت إلى الأرض تحتي ووجدتني أفق على رجل واحدة والأخرى تتأرجح في الهواء. رددت سؤالي بصوت أضعف والدمع المثل من مقليتي

يقعر الكون ويجدبه:

- هل توصوني بالحياة هكذا؟

التفت إلي أحدهم، للمرة الأخيرة، قبل أن ينعطفوا جميعا خلف زاوية المقصف:

- "اشتر حذاء بكعب عال ووفر على نفسك كل العواقب غير المحسوبة!"...

انتبهت لنفسي وقد بقيت وحيدا وسط الحرم. الأساتذة من نوافذ كل الطوابق، على اليمين، يلغظون. هدير السيارات ونفير الشاحنات خارج

الحرم، على اليسار، يصيبي بالدوار وأشرع في التفكير في تحويل اتجاهي إلى ما وراء اليمين واليسار، إلى الأعلى: فعوض أن أقفز كأرنب إلى الأمام

سأقفز كصاروخ إلى الأعلى:

وإني وإن كنت الأخير زمانه ﴿٥﴾ لآت بما لم تستطعه الأوائل

القصر الكبير، بتاريخ: ٢٨/٠٧/٢٠٠٥

نص منشور في صحيفة "الكرامة" الفلسطينية بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٥

" لا تدع النقد يعكر صفو تفكيرك. وتذكر أن المذاق الوحيد للنجاح عند

بعض الناس هو طعم تلك العضة التي ينالونها منك."

### زيغ زيغلر

ليس لديه ما يسرق: لا أثاث ولا أواني ولا أطفال ولا امرأة... ليس له غير لباسه. ومع ذلك فهو يغدق الخبز على كلاب ضالة لتحرس له باب بيته المتداعي في هذا الحي من طوق الفقر الصفيحي حول المدينة. كلاب جوعى مثل هذه لا يمكنها حراسة أحد أو حمايته من المعتدين ولكنها قد تدرك أن عليها رد الجميل لمن يفتت لها الخبز كل صباح بنبحة أو نبحتين ليلا إذا ما حاول متطفل أو معتد الاقتراب من الباب...

الصباح ضبابي وقارس البرودة. يخرج الرجل من بيته، يجلس على العتبة. تقترب منه الكلاب في فئات متباينة، اثنان يقتربان منه أكثر يلحسان يديه وحذائه، والخمسة الباقون يقفون بعيدا...

البرد قارس. الرجل والكلبان يفتتان دخانهما على بعضهما البعض، يتبادلون الأنفاس.

انسحب الرجل إلى داخل البيت ثم عاد بحجر قميصه مملوء خبزا يابسة طغى على الجزء الأكبر من سطحها صوف أخضر نتن. شرع يفتتها للكلبين اللذين يصفقان بذيلهما فرحا ويلهتان من انفتاح الشهية ويلتفتان بين الفينة والأخرى للتأكد من احترام باقي الكلاب الخمسة للمسافة الفاصلة بينهما...

ينتهي الرجل من تفتيت الخبز للكلاب، يمرر يديه على عنقيهما رضا واستحسانا، يغلق باب البيت ثم ينصرف مبتعدا عن طوق الفقر باتجاه مركز المدينة طلبا لـ " طرف الخبز".

الكلبان، الآن، يفترسان فئات الخبز على الأرض في شخير مبالغ فيه لتنبية الكلاب الخمسة في الخلفية القريبة وردعهم عن كل تفكير في الاقتراب والمضايقة.

تفهم الكلاب الرسالة : ترقد على الأرض تتفرج وتنتظر. الكلبان يأكلان الخبز المفتت بشراهة ويشخران بجنون ويلتفتان كل دقيقة صوب الكلاب الخمسة الهزيلة ليجددان التحذير. يمنع الاقتراب منهما.

الكلب الذكر يريد الانصراف لكنه يفكر في مصير الخبز. ينظر إلى الكلاب الراقدة قربيه وقد اصطنعت لامبالاة زائفة ثم ينظر إلى الخبز المتبقي على الأرض. يتروى قليلا ثم ينحني، يأكل مع الكلبة الأنثى بتأن. يرفع رأسه ليلتلع ما بين فكليه. يبتلع الخبز بصعوبة ظاهرة من خلال حركات عينيه الجاحظتين من فرط التكلف. ينظر إلى الكلاب الخمسة وراءه. يكشف عن أنيابه. يزجر. الكلاب أوفياء لدور "اللامبائي" الذي رسموه لأنفسهم: مستقلون على بطونهم، يتنفسون بهدوء وهم يرمشون...

يعود الكلب للأكل. القطعة الأخيرة من الخبز استعصت على الهضم. لكنه واصل المحاولة تلو المحاولة حتى اثمار أرضا وبدأ يسعل ويشخر ويركل الأرض حوله في محاولة لدفع قطعة الخبز اليابس الذي تخنقه إلى داخل معدته. يسعل ويشخر ويركل ويدور على الأرض كعقارب ساعة مجنونة. يركل ويدور، يركل ويدور. الأرض تحته صارت أنظف تحت النفخ والسعال والشخير والركل والتمرغ.

في الخلفية القريبة، الكلاب الخمسة، دائما راقدون في إقليمهم الآمن غير آبهين بالكلب المحتضر، يتفرجون فقط على الكلبة الأنثى وهي تأكل وتزجر وتلتفت إليهم بين الفينة والأخرى غير واثقة من لامبالاتهم.

يطالها التعب والتخمة. تستريح أمام الخبز التي يركلها قربها الكلب المحتضر. تشم القطع المتبقية قطعة قطعة. تقف ثم تجمع منها ما استطاعت جمعه بين فكليها. تلتفت إلى الكلاب الخمسة: الكلاب في أماكنها تنظر وترمش بلا اكتراث متقن. تزجر زجرة تحول دون قوتها كثرة الخبز بين فكليها.

الذباب يفترسها. تحاول نفض أذنيها فتسقط الخبز من فكيها. تنحني لجمعها كلها في فمها، تجمعها، تتعد متباطئة تحت ثقل الخبز في أمعائها وبين فكيها. تتعد ملتفتة بين الفينة والأخرى صوب باقي الكلاب وباقي قطع الخبز المفتتة على الأرض. تنعطف ويغيب أثرها لبرهة من الزمن. تقف الكلاب الخمسة، فجأة. يتروون في وقوفهم. يتقدمون بحذر بالغ نحو قطع الخبز قرب جثة الكلب الميت. ينظرون وراءهم إلى المنعطف حيث اختفت الكلبة. ينقضون على الفتات. يفترسونه وهم يلتفتون دوريا إلى الوراء درء للمفاجأة والعقاب. يفترسون الفتات بأضراسهم ويروحوون عن خوفهم بأذيالهم.

أخيرا، تظهر الكلبة مسرعة. ثدياها تتأججان بين أرجلها وتلامسان نتوءات الأرض. ينتبه الكلاب الخمسة لحضورها. يثبون. يغادرون المكان. يفرون بجنون دون التفاتة إلى الخلف. تقترب الكلبة من مكان الخبز: لا شيء. تنظر إلى الكلاب المغيرة وقد صارت خمس نقط في البعيد لا زالت تركض وترسم في جريها مستقيمات متوازية ومتقاطعة ومتعامدة ولكنها لا تتوقف عن الجري بعد امتلاء مختلس ونجاة صعبة من أنياب كلاب تؤثر الموت من التخممة على اقتسام الفتات.

أمطراس (شفشاون)، سنة ١٩٩٥

نص منشور في صحيفة "المفائق" اللندنية بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٠٧

## يا ذاك الإنسان !

" الله، الله، الله! يا ذاك الإنسان ﴿﴾ على زين فيك!  
الهمة والشان، النخوة والابتهاال ﴿﴾ اشحال مواتيـك!  
وعلي، الله يهديـك ﴿﴾ يا ذاك الانسان!"

كلمات: الطيب العلي

أحان: محمد العلي

غناء: عبد الهادي بلخياط

### ١- مع الإنسان (أغنية):

الزين والعين الزرقاء ﴿﴾ جاءنا بكل خير  
اليوم يمشوا بالفرقة ﴿﴾ بناتنا في خير  
أشحال من هي معشوقة ﴿﴾ داروا لها الشان  
الامريكان

تسمع غير "أوكي، أوكي" ﴿﴾ هذا ما كان  
\* \* \* \*

في الكوتشي مع الطوبيس ﴿﴾ ما لقيت نوبتي  
يمين وشمال ﴿﴾ ما تسواشي كلمتي  
حتى من الفيـلو - طاكسي ﴿﴾ داروا لها الشان  
الامريكان

تسمع غير "أوكي، أوكي" ﴿﴾ هذا ما كان  
\* \* \* \*

فرقوا الفينيد، افليـو ﴿﴾ زادوا اشوينكـوم  
حتى الغيرة والحمير ﴿﴾ زادوا البومـيوم  
حتى من العزيرات اليوم ﴿﴾ يشربوا الـروم  
الامريكان

تسمع غير "أوكي، أوكي" ﴿﴾ "كامون"، "باي باي!"  
\* \* \* \*

فرقوا الفينيد والسيجار ﴿﴾ زادوا الـدولار  
حتى من العجايز ﴿﴾ اشراوا الفـولار  
حتى من هم صغيرات ﴿﴾ يعقدوا اللسان

الامريكيان

تسمع غير "أوكي، أوكي" ❖ "كامون"، "باي باي!"

\*\*\*\*

قوى علينا الكيندي ❖ من الناس فارحين

سعد الزكا معهم ❖ النساء رابحين

اشحال من هي معشوقة ❖ ولات بالسيكار واللتام

مع الامريكيان

تسمع غير: "أوكي، أوكي" ❖ "كيف مي الدولار!"

أمنية " العين الزرقاء"، ١٩٤٥

كلمات ، احان وحناء الحسين السلاوي

٢- تحت الإنسان (خبر صحفي):

"... ثمة احتمال أن يكون بعضهن قد خضع لعملية تخدير حتى تسهل على المخرج عملية "إدارة الممثل" أثناء التصوير، خصوصا أن بعض المشاهد تثبت "سادية" السائح الأجنبي والتي تظهر من خلال الطريقة "العنيفة" التي كان يمارس بها الجنس مع "ضحاياها"، إذ يظهر في إحدى هذه الصور وهو يتبول على إحدى خليلاته..."

تعليق السائح الأجنبي على الخبر الصحفي:

" ما أود أن أؤكد عليه أنني متهم في هذه القضية بعدة أشياء، لكنني لست متهما بتشويه سمعة المدينة، وأن هذه الأخيرة كانت كذلك قبل أن أُلجأ أنا وأن كل ما أضفته أنني فضحت هذه الممارسات التي تحدث في المنطقة".

٣- تحت الحيوان (خبر صحفي آخر):

"تم اعتقال مجموعة من الفتيات بتهمة الفساد، في حين تم ترحيل بعض زبائنهن (...) إلى بلادهم (...) فلأمر علاقة باكتشاف فتيات (...) يحملن "مرضاً غريباً" قيل إنه انتقل إليهن من خلال ممارسة الجنس مع كلاب يملكها سواح أجانب."

الجديدة، بتاريخ: ٨ أغسطس ٢٠٠٥

نص منشور في مجلة "الفه باء" العراقية بتاريخ ٢٠٠٦/٠١/٢٠

## الحياة بالأقدمية

"هناك حلول كثيرة لمشاكل حمة مقابل صعوبات لانهائية"

سيمون بوليفار

**Simón Bolívar**

منذ دخلت المدرسة في سن السابعة من العمر وأنا أدرس في كل فصل ثلاث سنوات أعاشر خلالها ثلاثة أجيال. وقد وسعت بهذه السياسة دائرة معارفي لتشمل كل أحياء المدينة. فقد صار لي أصدقاء في كل مكان كما صار لي أصدقاء من كل الأعمار. ولما وصلت قسم الشهادة الابتدائية بعد رحلة الشتاء والصيف التي دامت خمسة عشر عاما، كان لي أصدقاء في القسم الذي أدرس فيه وآخرون في الثانوية وغيرهم في الجامعة أو في مراكز تكوين المعلمين بعضهم اختار العمل معلما رسميا في مدرستي ويتعامل معي كصديق طفولة يتحسر عليها وأنا لازلت أعيشها....

لا أعتقد أن الأمر يتعلق بضعف مستوى المدرسين كما لا أعتقد أنني بليد أو كسول ولكنها الحكمة الآمنة التي فطمنا عليها جميعا ولم يعد يؤمن بها غيري وبعض الصفوة من طليعة رجال الغد: "العجلة من الشيطان"، ولذلك فقد تحملت، بمعية هذه الصفوة من التلاميذ، مهمة تعميم هذه الفلسفة على العالمين. ولكن قبل الخروج للناس، كان علينا أن نمارس التعاليم التي سنبرش بها الناس وأولها: "ما فاز إلا النوم". فقد وصلنا النوم لمدة ثلاث سنوات في كل فصل حتى تغيرت المسطرة النظامية المسيرة للنجاح والرسوب فأصبح لا يسمح بلزوم فصل دراسي لأكثر من سنة واحدة لمن سبق له تكرار فصلين دراسيين. لكن المسطرة الجديدة، رغم شكلها الزجري، فقد كانت عاملا مساعدا لنا من أجل المبالغة في النوم بغية المبالغة في النجاح لأننا كنا نعلم علم اليقين أننا نأجحون كل سنة من السنوات القادمة "أحب من أحب وكره من كره"، كما كان يردد المكافحون والمجاهدون والمناضلون القدامى وكل من كان يؤمن بأنه يبذل جهدا....

المسطرة الجديدة ضمنت لنا النجاح طيلة مدة إقامتنا في الابتدائي والإعدادي لأن الإدارة لا تنوي طردنا وحرماننا من التمدد قبل بلوغ سن الرشد. لكن في المرحلة الثانوية، تفاجأنا بالإيقاع الجديد ووجدنا أنفسنا غير محميين بقانون أو مسطرة تضمن لنا النجاح دون جهد. وبعد أربع سنوات، كان كل رفاقي خارج أسوار المدرسة وقد نيفوا على الثلاثين من العمر يبحثون عن مقعد في قسم البكالوريا في ثانوية حرة بعدما استحال وصولهم إليها عبر قناة التعليم العمومي.

في الثانوية الحرة، وجدنا السند الذي فقدناه في السنين الخوالي. فلكي تصبح طالبا له الحق في الدراسة في صف البكالوريا يكفي أن تكون كبيرا في السن وأن تدفع تسبيق الشهر الأول. لكن الفرحة الكبرى كانت خبر نجاحي في الدورة الأولى مع النوايح من تلاميذ الإقليم. طبعاً لم أكن الوحيد فكل رفاقي كانت أسماءهم على سيورة الشرف ضمن الناجحين لأن إجاباتنا على أوراق الامتحان كانت واحدة. فكل وريقة كنت أتلقيها ممن كنت أستجديهم من نوايح التلاميذ في القاعة، كنت أمررها للرفاق الذين يحفرون لي ظهري برؤوس أقلامهم بعصبية تزداد حدتها مع اقتراب عقارب الساعة الحائطية من موعد جمع الأوراق وغلق أبواب القاعات...

في الجامعة، كان **خاي احمد الزيزوة**، في وجاق مقصف الكلية، خبيراً بحق في تحضير الشاي المغربي المنعنع. وكان لخبرته في تحضير الشاي ومهارته في خدمة الزبناء فعل السحر في احتفاظنا بمائدة قرب وحاقه لمدة سبع سنوات بالتمام والكمال تخرج خلالها مجابيلونا والأجيال الستة الموالية لهم وحصلوا على مناصب شغل وتسلقوا المراتب... ولم ننتبه إلا على وقع رنين القانون الجديد الذي لوح بالطرد في وجه المتقادمين. ولحسن حظنا، لنا شهادة الإجازة الجامعية في ذات السنة. لكن حسن الحظ لا يعني الفرح بالمكسب لأننا كنا ننيف على الأربعين وكل مباريات الشغل تؤكد على سن الثلاثين كأقصى سن بالنسبة للمتباري. وهذا يعني أننا حملة شواهد محكوم عليهم بالعطالة إلى الأبد.

والحل؟

البعض نصحني بالبحث عن وسيط نافذ، يسهل عليه ما صعب على القانون.

البعض الآخر نصحني بالبحث عن وزير أو برلماني يستعمل سلطته ونفوذه لصالح ولوجي دنيا العمل. لكنني فضلت رفع دعوى قضائية للتخفيض من عمري وكان علي أن أنقص أحد عشر عاما من عمري ليصبح عمري ثمانية وعشرين عاما كي أحتفظ باحتمال اجتياز المباريات خلال الستين المتبقيتين للسقف العمري المحدد: ثلاثون عاما.

خلال خمسة عشر يوما في المحاكم، سافرت في الزمن نحو الماضي وصار عمري ثمانية وعشرين عاما فتقدمت لأول مباراة. اجتزت الامتحان الكتابي بسلام. لكن، في الامتحان الشفوي، صعب علي الأمر وبدأ الفشل يلوح لي في عيون محاورتي الثلاث على الحافة الأخرى من الطاولة. ولم أجد بدا من الارتقاء على أقدام الأساتذة تحت الطاولة بيننا وتقبيل أحذيتهم واحدا واحدا، فردة فردة والتوسل إليهم بإنقاذي من الرسوب المحقق، طالبا الرحمة لأبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم ... ولم أستو إلا على وقع ربت أكثر من يد على أردافي تطلب مني القيام وتعدي بالنجاح في المباراة. أخيرا دخلت دنيا الشغل.

أخيرا ولجت عالم الإنتاج.

لكن ثمة ضوابط وخطوط حمراء لا يجب علي المساس بها: أولياء نعمتي من المشغلين وزملائي من المستخدمين. وعليه، يجب أن أجم ميلي للترقي وتحسين وضعيتي الاجتماعية حتى لا أصطدم مع مشغلي وزملائي وأن أكتفي بانتظار ترقيتي بالأقدمية ... هذا التوجه الحكيم فتح عيني على فلسفة تستحق الممارسة: " الحياة بالأقدمية" فهي أكثر أمانا من مخاطر المنافسة والمغامرة وأكثر من ذلك فهي مضمونة: ففي السنة المحددة تترقى دون امتحان أو شهادة أو أي شيء...

فتحت، إذن، عيني بمنظار جديد، منظار الأقدمية، وانبهرت للنجاحات التي تكون الأقدمية وراءها وللفتوحات التي تكون الأقدمية مبدعتها وللعلاقات التي تكون الأقدمية لمهنتها... ووجدتني أريح الأحكام القضائية بالتقدم، وأكسب احترام الصغار لأنني أقدم منهم، ويعتبرني الوافدون الجدد على المدينة "كابن المدينة الأصلي" لأنني أقدم منهم فيها، وأخذ التركيبة من الحزب للتقدم للانتخابات لأنني أقدم من باقي المرشحين في اقتناء بطاقة العضوية في الحزب، ويصوت علي الحيران لأنني أقدم في الحزب، ويعرفون أسرار دواخلي وأعرف مجاهل أعماقهم... هكذا، درجة درجة، ووجدتني أقرب من مواقع تدبير الشأن العام والمساهمة في التنمية فأسسنا فيدرالية تنضوي تحتها كل الإطارات الجموعية بالمدينة ندعو من خلالها المواطنين إلى تبني فلسفة " الحياة بالأقدمية" كسبيل أضمن لتحقيق الأهداف دون مخاطر أو مغامرات ولا نعبر أدنى اهتمام لمن يحاول التشويش علينا بتسميتنا قدحا "جمعية قدماء كسالى الثانوية الوحيدة بمدينة خاء" ووصف عملنا التنموي على أنه انتقام لماضي الكسل الذي عشناه في ضروب المؤسسات التعليمية، ورغبة دفينة لغير الإجتهد وروح التنافس الشريف ومحو الكفاءة من الوجود وانبعاث سلطة قدماء الكسالى. لا يهمننا القيل والقال، نحن عمليون ونركز حاليا على الأشكال الضاغطة لتحريك الملف نحو المركز وعلى الأدوات القانونية التي ستعجل بتحقيق مطلب "الأقدمية" وجعله واقعا ملموسا. أما الأشكال الضاغطة فهي مجموع الإطارات والقوى الحية المنضوية تحت فدراليتنا وهم في غالبيتهم رفاق الأمس متشبعون بقيم "الحياة بالأقدمية". وقد كان لإيمانهم هذا بمصداقية مطلبهم دافع كبير في إنجازهم وتحقيقه، بعد حوار مع السلطات المعنية قبل الخروج إلى الجماهير المبتهجة، صائحين:

- " أنجزت المهمة ! لقد سويناها : فلا مباراة بعد اليوم ولا شواهد ولا كفاءة ولا مزايدة ولا رياء ... عيشوا حياتكم بالأقدمية. اقدموا وتقدموا وسترون بأم عيونكم تحقق الأمان التي استعصت على سواعدكم. أيها الإخوة، بشرى لكم وهنيئا لكم ولساللتكم بالإنجاز التاريخي وبالحيقة السعيدة وإلى لقاء نضالي قريب مع مطلب جماهيري جديد"...

الدموع تطل من عيني حين أتذكر تلك اللحظات التاريخية المؤثرة. لم أحلم في يوم من الايام بدخول التاريخ لسبب بسيط وهو أنني لم أعره في يوم من الأيام أدنى اهتمام. لكن الله يهدي من يشاء، متى شاء وحيثما شاء. فالحمد لله على هذه الهداية. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. الحمد لك والشكر لك على فضلك ونعمك، يا سيدى ومولاي، يا مالك يوم الدين، يا رب العرش العظيم، يا حى يا قيوم، يا واحدا يا أحدا يا فردا يا صمدا، يا أرحم الراحمين يا الله...

القصر الكبير، بتاريخ: ٢٠٠٦/٠١/٠٣

نص منشور في جريدة "المؤتمِر" العراقية عدد ١٠١١

بتاريخ ١٩ يناير ٢٠٠٦

## كاتب

"إلهي، من أكون غير الخوف الذي يشعر به الآخرون نحوي؟"

جون بول سارتر

في البدء، كانت الابتسامة على وجوه الجميع:

- ١- سأكون أسعد الناس حين أرى العالم يستقبلك ككاتب!...
- ٢- أنا لا أطلب منك سوى أن تخصص لكل صديق من أصدقائك إهداء على الصفحة الأولى من كل إصدار!...
- ٣- أريدك أن تكون من مرتبة أرنست هيمينغواي وألا تقبل بأقل من جائزة نوبل للآداب!...
- ٤- أنا أريدك أن تتم مطالب أبي الطيب المتنبي وألا تحيد عن طلب السلطة أبدا. فلا معنى لمثقف دون سلطة ولو كانت سلطة الكلمة!...
- ٥- الأفضل أن تكون كالأعشى وتطلب المال حتى يصبح الذهب في صحن موائد فطورك وغذائك وعشائك!...
- ٦- أنا أنتظر اليوم الذي ستصبح فيه مثل ج.ك. رولينز تباع مئات الملايين من النسخ وتقلب الدنيا وتقعدها مع كل إصدار وتلهب شوق القراءة في الناس ليصطفوا في منتصف الليل أمام المكتبات طلبا لنسخة وحيدة بعد نفاذ الطبقات الأولى وتدفع اللصوص لتحويل اهتمامهم من سرقة المال إلى سرقة الكتب فيغيرون على مخازن الكتب وينهبونها ويعيدون بيعها في السوق السوداء!...
- ٧- أما أنا فيكفي أن أرى صديقي الذي اختار الطريق الأصعب أن أراه يختار المثل الأصعب في الطريق الذي اختاره: أن يتحلى بشيء من شيم جون بول سارتر وأن يكون ما يقوله، وأن يمارس ما يبشر به، وأن يكتب ما يفكر فيه حتى ولو أضاع صداقة كل من هم حواليه وصار وحيدا معزولا...

ثم بدأت الرائحة تصل خياشيم الضباع:

- ١- قيل لي أنك اقتحمت باب بورصة الثقافة مبكرا! لكن ألا تعلم أن هذا المجال لا يصلح للاستثمار والأرباح السريعة؟!...
- ٢- كتابك صغير للغاية وأنا قرأته واقفا خلال نصف ساعة!...
- ٣- لقد اخترت ثمنا غاليا لكتابك هذا!...
- ٤- يقال أنك نمت رأسملا هاما من خلال إصدارك الأخير!...
- ٥- لقد اخترت توقيتا مناسبا. فصدور كتابك بصورتك الشخصية على غلافه الخلفي مهم للغاية خاصة وأنا على أبواب الانتخابات والتعريف بالمرشحين!

دهشة الأصدقاء:

- لقد اعجبني إصدارك بما إعجاب! لكن ما يحز في النفس هو موقف فدرالية قدماء كسالى الثانوية الوحيدة بمدينة خاء من صدور عمل ثقافي جديد وميلاد مثقف جديد!...
- وما هو موقف فدرالية قدماء كسالى مدينة خاء؟
- ولكنك معني بالأمر! ألا تعرف موقفها؟!
- لا.
- حسنا. لقد قرروا أمس "قتلك رمزيا".

مطالب فدرالية قدماء كسالى الثانوية الوحيدة بمدينة خاء:

أولاً : قتله رمزياً.

ثانياً : عزله عن كل الفاعلين من أصدقائه الذين يتم التعرف على اسمهم أو عنواهم أو صورتهم.

ثالثاً : عرقلة تنقل كتبه بالطعن في سيرته والتشكيك في قصده.

رابعاً : منع المتعاونين معه من توزيع كتبه.

خامساً : إرغام كل من ساهم في التوزيع على سرقة المال الذي جمعه من بيع النسخ التي أوتمن إيها.

سادساً : إرغام كل من ساهم في التوزيع ولا زال في حوزته نسخ متبقية على الاحتفاظ بتلك النسخ وبالمال ونكران معرفته إلى الأبد.

سابعاً : تخويف الأصدقاء من مغبة الاستمرار في مجالسته لكونه صار يشكل خطراً على الوضع العام.

ثامناً : التوسل، عبر الأقارب والمعارف وأبناء العم والحال، لدى الصحف المحلية والجهوية والوطنية لعدم نشر أعماله مستقبلاً.

تاسعاً : التأثير على أرباب المكتبات والأكشاك التي تعرض كتبه لدفعهم إلى إخفائها وإبعادها عن الزبناء القراء.

عاشراً : قتله نهائياً.

### نور حكمة قديمة من صديق قديم:

حين يقدمك الناس للغير، في حضورك أو غيابك، اهتم بما يقال أكثر من أي شيء آخر. إنهم، في ذلك التقديم، لا يقدمون إلا أنفسهم...

### ثم بدأ الافتراس:

#### \* كلام الجرائد:

"تعرض، ليلة امس، الكاتب سين لاعتداء منظم على طريقة الجماعات المسلحة في عرض خيرة شوارع مدينة خاء، تحت الأضواء الليلية الساطعة: عصابة جيدة التحضير تعترض طريقه بشكل مسرحي مدروس ومعد سلفاً، تشهر السكاكين في وجهه وتنهب عناوين أصدقائه في هاتفه النقال وساعته اليدوية... دون خوف من حسيب أو رقيب.  
ففي الوقت الذي يكرم فيه المبدع عند الأمم المتحضرة، يجز في النفس أن نقرأ أخباراً تتكرر كهذه في ظل صمت مطبق يخفي تواطؤاً شنيعاً وتشفياً غير مبرر..."

#### \* كلام الزملاء في العمل:

- لم يأت اليوم للعمل...
- لماذا؟!...
- لا زال تحت الصدمة...
- صدمة ماذا؟!...
- لقد دوهم بيته ليلاً خلال نومه ولم يسرق أي شيء. فقد اكتفى المدهمون بتغيير مكان قطع خفيفة من الأثاث لتحذيره عند يقظته...

#### \* شكاية لدى مدير مكتب البريد بالمدينة:

"إلى السيد مدير مكتب البريد بمدينة خاء

الموضوع: استفسار حول عدم التوصل بالمراسلات

تحية طيبة

أما بعد، فيؤسفني ان اشعركم بعدم توصلني بالمراسلات التي يشعري بها مسبقاً كل من يرسلني حتى اكون في الاستقبال. لكنني منذ فترة غير وجيزة وأنا لا اجد في علبي البريدية غير توصل الضرائب وفواتير الماء والكهرباء والهاتف والأترنت...  
وتأسيساً على ما سبق، ولأن الأمر لم يعد مجرد صدفة أو مصادفة، فإني أتقدم إليكم بطلب تبرير معقول لما حدث ولا زال يحدث. والسلام."

#### \* إعلان نتائج أول مباراة مهنية بعد ولوجي عالم الكتابة والنشر والتوزيع:

التلاعب بنتائج المباراة، تزوير مجهودات المتبارين، الترسيب التعسفي، الإهانة، الإذلال، الإقصاء...

### \* رد على تهديد بالاعتداء علينا لاحتجاجنا على نتائج المباراة وأشكال إخراجها:

"إلى الكاتب المحلي لنقابة خاء

الموضوع: رد على تهديد

بعد التحية

تلقيت اليوم زوالا، على لسان رسولكم المناضل خاء، نص التهديد الشفهي بالاعتداء على شخصنا. ولأنني تعرضت مند قراري حمل القلم كسبيل للإسهام في النقد والتنوير الاجتماعيين لسلسلة من الاعتداءات، فإنه لا يمكنني سوى أخذ تهديدكم مأخذ الجد. ولذلك أشعركم أن أي اعتداء سنكون موضوعه إما من طرفكم شخصا أو من طرف آخرين، معلومين أو مجهولين، ملثمين أو مكشوفين الوجه سيجعل من تهديدكم هذا مرجعا للاعتداء ومن رسولكم المناضل خاء شاهد إثبات. كما أنني أحتفظ بنسخة من هذا الرد لليوم الأسود. والسلام."

### أنفاس الضباع من أفواه الأصدقاء:

الأول: صديقي، هل تريد تغيير العالم؟!...

الثاني: الناس مرتاحون هكذا وانت مالك؟!...

الثالث: هل أنت مستعد للتضحية بحياتك فداء لعوام يحاربونك؟!...

العاشر: صديقي، استيقظ!...

المئة: إنك فقط توفر للطفيليين وحثالة الاحياء فرص عمل بتمكينهم من العض في جهودك ووجودك!...

الألف: استيقظ، يا صديقي، فالمبدع في عين الإنسانية في مكان آخر، هو كثر ثمين وهبة إلهية إلى المعدين في الأرض. ولكنه، بالنسبة للضباع

حواليك، هو مجرد وجبة!...

القصر الكبير، بتاريخ ٢٧ يناير ٢٠٠٦

نص منشور في صحيفة "الحياة الجديدة" بتاريخ ٤ فبراير ٢٠٠٦

## موسم الهجرة إلى أبي مكان

" اسم جدي: رحال ..

اسم أبي: رحال...

اسم أمي: (...)

أسماء تعني العنف والألم.. وعدم الاستقرار... هكذا كانت طفولتي..."

**العربي باطمة**

**"الرحيل"**

الكتاب الأول من السيرة الذاتية، ص، ٩

سيح الشيخ بنظره فوق جحافل المنتظرين لصفارة الانطلاق لعبور البحر نحو الضفة الأخرى.

تملكه إحساس بالهيبه. وجه نظره نحو الضفة الأخرى ثم همهم:

- " سبحان الله! شيطانان متقابلان لا يجمعهما في الوجود شيء: واحد مأذبة والآخر مجمر!..."

أوقف سبابته على الحبة الأخيرة من سبخته ليسأل الشاب الجالس وحيدا قربه منهمكا في قراءة كتاب يبدو من انحناء ظهره أنه سلبه كل

اهتمامه:

- ألا زلت تقرأ وأنت على حافة الهجرة والموت؟

- أنا أقرأ روائع الحكوي: "ألف ليلة وليلة"...

- وما معنى الروائع أمام المغامرة التي ننتظر جميعا انطلاقها؟

- سر ألف ليلة وليلة يكمن في قدرتها على جعل الانتظار أهون وأسهل، من خلال الحكوي...

- إذا كان الأمر كذلك لماذا لا نحكي ونهون الانتظار ونتعارف ونتقارب أكثر؟

التحق بهم آخرون كانوا يسترقون السمع ففضحهم اندفاعهم:

- نعم، ليحككي كل منا ظروف وأسباب ودوافع إقدامه على الهجرة.

- فكرة رائدة وسأكون انا البادئ إذا ما وعدتموني بالإصغاء.

- كلنا آذان لكن تذكر أمرا هاما وانت تحدثنا.

- وما هو هذا الأمر؟

- تذكر أنه ليست معنا سلطة تخيفك أو تسجل أقوالك. فكل المنصتين إليك مهددون بالموت غرقا خلال هذه الرحلة. فلا تخف فضيحة

أوتشهييرا من أحد. وكن، وأنت تحدثنا، كمن يحتضر وهو يرى امام عينيه الحقيقة التي ظل يؤجل مواجهتها طول حياته...

- شرطكم مقبول، يا رفاقي في الغرق. وهذه قصتي...

**حديث المهاجر من وطن الممثلين:**

الوطن صار مسرحا لأسوأ أنواع الممثلين. الناس أميون ويمثلون دور الآباء المسؤولين ويأخذون أبناءهم للمدارس. المدرسون يمثلون دور المربي

والمعلم والمنشط. والتلاميذ، منهكين بالمحافظ الثقيلة وساعات الدرس الطويلة والمسافات البعيدة بين المدرسة والبيت، يمثلون دور النجباء المتجاوبين مع

الدرس. والتلفاز يذيع نتائج الامتحانات ويمثل دور المطمئن لتطور مستوى أبناء الشعب. والشعب مريض والأطباء يمثلون دور المعالج. والمحسوبون أقارب يمثلون دور المواظبين على زيارة القريب في المشفى. والمرضى يموتون ويحملون إلى ديارهم في سيارات يمثل بها سائقها كسيارة إسعاف. ويخرج أفراد عائلاتهم يصرخون ويندبون ليمثلوا دور المنكوب...

تمثيل في تمثيل في تمثيل... وأنا في حاجة إلى العيش ولو ليلة بعيدا عن هذه الحشبة الكبيرة. لذلك، فقراري الرحيل قرار لا رجعة فيه.

### حديث المهاجر من وطن المنفى:

الاغتراب والمنفى كلمات تتكرر في معاجم الدنيا وتثير في كل مرة الحنين إلى الأصل، إلى الوطن، إلى الأمل. لكن أشنع أنواع الاغتراب هو أن تعيش غريبا في وطنك: حرا طليقا دون أن يعترف لك احد بجهودك، منفا بين والديك وزوجتك وأبنائك وأقاربك وجيرانك... أن تعيش منفى الوطن بين أناس لا يتذكرون اسمك ولا يحتاجون معونتك ولا يرون في وجودك جدوى. هنا، أعلى درجات الاغتراب والنفي وأنا هارب منه.

### حديث المهاجر من وطن حاسة السمع:

هنا أرض العمى. هنا أرض الآذان الطويلة. لا احد يرى. الكل يشغل حاسة واحدة: اسع. والويل لمن أصابته بحة أو فقد صوته! هنا الكل يسمع لأن الكل هنا مغمض العينين.

هنا، لا مكان للصمت والسكينة والتأمل والإنصات للذات...

هنا، لا مكان لأمتالي. ولذلك لا مناص لي من الرحيل.

### حديث الطفل المهاجر من تسلط الكبار وظروف الكبار:

لا أفهم كيف يسول والدي لأنفسهم أن يرسلاني للمحطة الطرقية بصندوق وكرسي لمسح أحذية الغرباء والمسافرين. يأخذان مني محفظتي ويسلماني صندوق مسح الأحذية:

- "هاك، يا ولدي، سير ترزق الله!"

هل أبواب الرزق موصدة إلا هذه الباب: مسح الأحذية؟ أصدقائي في المدرسة صباحا، وفي معهد الموسيقى مساء، وفي دار الشباب أيام عطلة نهاية الأسبوع، وفي الرحلات أيام العطل الكبرى... وأنا "سير امسح الصبايط!"

الإهانة!

ومن؟!

من والدي...

أنا فكرت طويلا في الامر: فإذا كانت الإهانة هي كل ما يوجد هنا، فلماذا لا أجرب العبور إلى الضفة الأخرى لأحيا حياة أخرى؟!!

### حديث المهاجر من وطن "كان" وأخواتها:

هنا أرض ال "كان". الناس هنا يعيشون على الذكرى والأمس والعلاقات البائدة. الناس هنا يجلدون الوهم ويقدمونه. لا أحد ينظر إلى الأفق. لا أحد ينظر إلى أجنحة الطيور وهي ترسم حروف السعادة الغدوية. لا أحد يحلم. هنا، الحلم نكتة. وأنا غير مستعد لأضحك غيري بأحلامي. ولذلك، أنا الآن اطلب الرحيل.

### حديث المهاجر خوفا من "الانقراض":

في أوطان الناس الذين سبقونا في سلم التطور: إذا كنت تمتلك عقلا فإنك ستعيش عليه. وإذا كان عندك صوت جميل، فستعيش عليه. أو كانت عندك سواعد قوية ستعيش عليها. أو كانت عنك قدما ساحرة، فلسوف تعيش عليها... أما هنا، فوالله لو توفرت فيك كل الشروط وكل القوى وكل المواهب، لو وجدت نفسك تسابق أراذل القوم لتمد يدك ولسانك وأعضاءك الأخرى توسلا لمن احتكر كل شيء كي يستمتع بهذا المنظر: منظر زحف جحافل المتسولين نحو يده العليا التي تبقى إلى الأبد خير من اليد السفلى...

قانون البقاء يخبرنا بين الانقراض في المحيط الأصلي أو الهجرة إلى محيط جديد يكفل سبل النمو والبقاء.

أما أنا فقد اخترت الهجرة إلى المحيط الجديد . وها آنذا أعد الدقائق للعبور الكبير.

### حديث المهاجر من وطن "الغفلة":

لقد احتملت أكثر من اللازم الحياة في أرض "اضرب على راسك!" و"الله يجعل الغفلة ما بين البايع والشاري" و"برق ما تقشع!" و"القانون لا يحمي المغفلين" ولو أن نصف العباد أميون والنصف الآخر تحت مستوى الفقر...

الشعارات تلو الشعارات والناس تلو كها اتباعا، دون ملل ودون وعي. الناس تلوك الشعارات القاتلة التي لا تؤمن بها لا سباع الطير ولا سباع البر ولا سباع البحر... وأنا لست مستعد للتعايش وقتا أطول مع سباع الإنس. أنا، هنا، أطلب النجاة بجلدي. أنا، هنا، أطلب الرحيل الكبير.

### حديث المهاجر الهارب من سلطة المنبطح:

السلطة توجد حيثما وجدت علاقة غير متكافئة بين طرفين. وأهم تجلياتها: **الفاعل والخضوع**. السلطة هنا ليست هي سلطة الدولة أو سلطة الرأسمال أو سلطة القبيلة أو سلطة العرق... إن السلطة، هنا، هي **سلطة المنبطح**: قاتل الأنبياء والفلاسفة والمبدعين والزعماء والمحررين...

فحيثما بزغ شعاع جديد بنور جديد، خرج المنبطح بشعاراته وتهديداته:

- "فين حدك؟"

- "باراكة علينا من سخونة الرأس؟"

- "ما خصنا صداد مع أحد!..."

ولأن سلطة المنبطح خفية،

ولأن المنبطح يبطش ويفتك بوحشية لا يمكن مقارنتها بأي من رموز السلطة الأخرى،

ولأنه لا صوت يعلو فوق صوت المنبطح...

فقد قررت الهجرة الكبرى.

### حديث المهاجر من وطن الهجرة الدائمة:

هجرة أم تهجير؟

أنا لم أحتر هجرة أرضي لولا الجفاف والقروض والحياة دون ماء أو كهرباء بعيدا عن المشفى والصيدلية والحمام والمدرسة والمحطة والسوق... في البداية، هاجرت وأسرتي الصغيرة إلى أقرب مدينة صغيرة مجاورة واكترينا بيتا صرنا نعمل جميعا من أجل تسديد متطلباته من ماء وكهرباء وإصلاح...

ثم هاجرنا إلى مدينة أكبر في جنوب البلاد حيث صرنا نسكن في مقر عملنا فأصبحت حياتنا عمل في عمل حتى بيعت الشركة ونحن ضمن بنود عقد بيعها إلى رب عمل جديد سرعان ما أعلن إفلاس الشركة وألقانا إلى الشارع وأغلق عليه باب الشركة.

بعد ذلك، هاجرنا إلى مدينة أكبر في الشمال حيث اشتغلت "دفاعا" في غرف نوم البدينين من أثرياء المدينة الذين صعبت البدانة قدرتهم على

الاستمتاع بالجماع...

ولأنني تنقلت في كل دوائر الهجرة من نواتها في الأرياف إلى أقصى اتساعاتها في كبريات مدن الشمال، فإنني أجد نفسي الآن منساقا إلى

الدائرة الكبرى والهجرة الكبرى...

### حديث المهاجر من وطن الإرادة المصادرة:

الناس هنا بلا إرادة.

المشعور والساحر يمنح الإرادة للسذج والغفل والبله من الناس...

شيخ القبيلة يمنح الإرادة لبنات وأبناء قبيلته...

رئيس الحزب ومالك مقراته والممسك بمفاتيحه يمنح الإرادة لمناضليه...

الإرادة التي يمكنها إحالة الإنسان إلى قوة بناءة أو مدمرة، هي، في الأصل، ملغاة. وأنا لا احتل الحياة مع الدمى والعرائس.

كيف يمكنني أن أغير رأبي وأنا أشاهد بأب عيني كيف يصادر عراب الحزب حرية مناضليه ويحيلهم إلى أدوات بشرية تلوك ما حفظ لها من مبررات الطاعة: الظرفية غير المناسبة، الانضباط لقرارات الحزب، التكتيك المرحلي...

وكيف يمكنني أن أغير رأبي وأنا أشاهد بأب عيني كيف يحيل عراب الحزب المناضلين إلى مجرد خشبيات تصنع المعادلات، إلى مجرد أرقام للمزايدة في لحظات البيع بالمزاد العلني أو السري... وكيف يحيل عراب الحزب المناضلين إلى مجرد رهائن "ضاربين الصف" في دكاكين سياسية صغيرة الحجم، ضيقة الأفق، تفتح أبوابها على دورات أولمبية يتدفق خارجها المناضلون/ الرهائن بلافتات طويلة ومناشير كثيرة وحماسة يجهل المناضلون/ الرهائن جدواها وبرامج سياسية مقتبسة بتصرف عن قصص "كليبلة ودمنة"...

كيف يمكنني أن أغير رأبي وأنا أرى بأب عيني الدمى دمي والعرائس عرائسا؟ إنهم يسمون العمل المافوي عملا سياسيا، والعصابة حزبا، والعراب أمينا عاما، والاختطاف استقطابا، والرهائن مناضلين، ولا حق للرهائن في الحرية الفردية...

فاشهد اللهم أي قد قلت وتظهرت قبل أن ارحل وأغيب.

### حديث المهاجر من وطن " الانتحار":

هنا، كل شيء غال ما عدا حبال الشنق والأحزمة الناسفة وحقن السم. كل شيء غال: الفواكه واللحم والسكن والكتب... وأنا أريد أن أحياء. أنا عاشق للحياة. ولذلك، أنا راحل إلى حيث تشرق الشمس ولا تغيب. أنا راحل إلى حيث الإنسان هو أعلى كائن وكل الباقي في المتناول.

### حديث المهاجر من ثقافة " حالة الطوارئ":

حالة طوارئ.

الحياة والموت في ظل حالة طوارئ.

لم أعد أطيع حياة كهذه: جمود في جمود وتحفظ في تحفظ وخرس في خرس.

أعياد باردة يتصافح يومها الناس على عتبات البيوت، يغلقون الأبواب ثم يجلس الأب وزوجته وأبناءه يشربون الشاي ويأكلون الحلوى أو أمام الجمر يشوون اللحم السنوي. وفي المساء، بعد العصر، يبدأ طواف الشارع الرئيسي للمدينة في صمت: الإناث مع النساء، والأولاد مع الرجال. وقبل العشاء، ينتهي الطواف ويبدأ الانسحاب على أمل طواف آخر في عيد آخر...

أما في الحفلات، فأجواق موسيقية باردة تعزف لمدعويين ساهون. وفي جهة الحرم نساء تكثرين لباسا جديدا أو باذخا وهمس في آذان بناتهن أن يتحلين بالتعقل والحكمة والرزانة. وحتى إذا ما رقصن فليفعلن ذلك بأكتافهن وأرجلهن لأن بعض النساء الحاضرات جئن خصيصا للبحث عن زوجة لأبنائهن وهن يفضلن البنت العاقلة الرزينة الثابتة ولا يجبذن البنت اللعوب التي لا تكل من الرقص والضحك وتجاذب أطراف الحديث مع أي كان... والنتيجة هي ان كل الحفلات، في هذه الأرض، هي حفلات باردة لدمى باردة تسيرهن أمهات مقاولات... برود في برود. وأنا أبحث عن دفء إنساني ينبعث من دفء قيمي.

هنا، أنا لم أجد. والآن، أنا مهاجر في سبيل البحث عنه.

### حديث المهاجر من جحيم " التحريم":

الجميع يتسابق ليحرم ويمنع ويبطل حواسك وعقلك فلا تنظر ولا تسمع ولا تلمس ولا تشم ولا تذوق... حتى إذا ما أصابك الشلل الكامل، تكالبوا عليك ليحددوا لك ما يسمح رؤيته وما يباح سماعه وما يحل لمسه وما يمكن تذوقه وما يستحسن شمه وما يليق الفكر فيه... هنا ثقافة التحريم. كل الناس تتسابق على تحريم هذا أو تحريم ذاك. الجميع يحرم ومن لم يحرم شيئا فهو لا زال يؤسس لصياغة مقبولة لتحريم شيء لم يحظر على البال.

كل النقاشات والدردشات والفرفشات حول الحرام والمحرم والتحريم... تحريم في تحريم. لاءات في لاءات... وأنا متعطش للاستماع ببراءتي وطفولتي.

### حديث المهاجر من أرض "الإرهاب الوجودي":

أنا لست مهاجرا. أنا هارب بأعضائي.

لم تعد لي سوى كلية واحدة أصبحت أخاف عليها من طمع الطامعين. أدخل بيتي قبل غروب الشمس. حتى إذا ما خرجت من البيت حرصت على صحبة الناس وسلكت المسالك المأهولة. أخشى أن أختطف وتسرق مني كليتي المتبقية. خوفي صار وسواسا قاتلا، مرضا مزمنا... لقد سرقت كليتي في إحدى العيادات. ولسرعة العملية، نسي الجراح المقص في معدتي. لكنها مجرد خدعة كي أعود إلى المشرف مرة أخرى، بعد فترة النقاهة، وأضع بين أيديهم كليتي الثانية أو إحدى خصيتي... الإنسان، هنا، ينظر إليه كمجرد سلة أعضاء بشرية، مجرد قطع غيار وأنا أبحث عن مكان آمن، عن وطن آمن... وأنا مهاجر بحثا عن وطني ضالتي.

### حديث الكاتب المهاجر من وطن صناعة الأمية:

لمن أكتب؟

من هو القارئ الذي سأتوجه إليه؟

العمال والفلاحين الأميين؟

أم الطلاب المنهارين؟

أم العاطلين الذين لا يملكون لا فلس ولا غدا؟

أم الموظفين أسرى مثلث العمل والسوق والشباك الأوتوماتيكي؟

أم أرباب العمل الذين نزل عليهم من السماء إلهام مالي دون إلهام معرفي؟

أم أكتب لنفسي؟...

ثم لماذا أكتب؟

أأكتب لتجديد نظام العالم؟

أأكتب عن الحرية والعدالة؟

أي قيمة للحرية في مجتمع يحكمه الخوف من الفتنة؟

أي قيمة للعدالة في مجتمع ابتكر الرشوة للقضاء على كل العراقيل الإدارية؟

ثم أين سأضع كتيبي؟

على الرفوف البعيدة العالية في مكتبات كتب السحر الأحمر والأسود والأبيض؟

أم في دواليب المكتبات المدرسية تحت المساطر والأقلام الرصاص والأقلام الملونة والدفاتر والطباشير؟

أم عند الأكشاك بين مرجوعات صحف الأسبوع الماضي؟

أم على جنبات الرصيف مع صور الفنانين الملونة والمجلات الإيروسية؟

أنا حددت وجهتي: سأهاجر لأتنفس هواء القيم النبيلة والثقافات المتعددة والتاريخ غير المخصي وأتصالح مع ذاتي وجدوري وأكمل ديني/

حريتي..

### حديث المرأة المهاجرة من الترحش:

الرجال؟ أنا عرفت تسعة رجال.

ثلاثة ماتوا بين احضائي، وثلاثة طلقتهم، وثلاثة طلقوني... ومع ذلك، يعتقد بعض الرويجلين أنني محرومة وأني قد ألبس مع الوقت ومع

الاستئناس بعباراتهم البائدة.

على مدار الساعة، أتعرض للتودد الذي يخفي تحته رسائل بأنني غير مصنونة لأنني بلا رجل، غير محترمة لأنني بلا رجل، غير محمية لأنني بلا

رجل...  
رجل...

الرجل، بالنسبة لي، لم يعد هو كل ما أفكر فيه. أنا، في أهداف أخرى وآمال أخرى. هديني وأملني: ان أكون ذاتي. لكن، هنا، هذا مستحيل. هنا، لا وجود لامرأة في غياب ظل بشارين. ولذلك، أنا الآن بينكم أنشد الهجرة الكبرى إلى حيث أحترم لذاتي وليس لوجود ذكر بجاني.

### حديث السياسي المهاجر من "سياسات اللعب":

لما انحطت في العمل السياسي فقد فعلت ذلك لأجل "العمل": العمل السياسي والعمل النقابي والعمل الحقوقي والعمل الثقافي... وقد كنت أشعر بامتلاكي لرأسمال رمزي يخول لي الدفع بمشاريع العمل إلى الأمام...

لكنني بدأت أشعر في أوج ممارستي بأن الأمر في تحول مستمر. فما كان "عملا" صار مجرد "لعب". وما كان جدا صار مزاحا خالصا. وصار الناس يلوكون معاجم ممسوخة دون علم بأن المفاهيم الممسوخة تنتهي بمسوخ أصحابها. وصار الجميع يتحدث عن اللعبة السياسية واللعبة الانتخابية واللعبة الديمقراطية... وربما تحدثوا مستقبلا عن اللعبة النقيابية واللعبة الحقوقية واللعبة الثقافية واللعبة الدينية... إلا أنني لا أريد أن أحايل جيل المسوخ القادم. ولذلك، عزمت على الرحيل: لا بدليل لي عن الهجرة.

### حديث الطالب المهاجر من التلاعب بالإرادات:

لم أعد أفهم...

نجمع الوثائق ونحضر قاعة الامتحان لاجتياز مباراة، فينجح الذين غابوا عن الامتحان. نعبئ الجيران على التصويت لهذا المرشح، فيفوز في الانتخابات ذاك المرشح الذي قاطعه الجميع. نفتح التلفاز لمشاهدة برنامجا مقمرا سلفا، فيمرر مكانه نشاط مختلف رديء مباشر بالصوت والصورة والتعليق وال... ولأنني لا أعرف ذاك الاختيار الذي يمكنني تبنيه دون إفساده من احد، فقد قررت الرحيل إلى حيث تحترم الإرادات. قراري سار المفعول ولن يثنيني عنه أحد.

### حديث المقاول المهاجر خوفا على رأسماله:

هنا ندفع الضرائب، وهنا ندفع الرشاوي!

اجتمعنا في "رابطة المقاولين" وقلنا بصوت واحد:

"هذا لم يعد مقبولا: إما الضرائب وإما الرشاوي. أرباحنا تذهب كلها إما إلى خزانة الدولة أو إلى موظفيها. ولذلك، نحن نقترح استبدال مكاتب الضرائب والجبائيات بمكاتب الرشاوي والآتاوات."

وقع على هذه العريضة أزيد من ألف مقاول ثم أرسلناها للمعنيين بالأمر ثم جاء الرد على الشكل التالي:

"الضرائب حق الدولة على المواطنين النشطين سواء كانوا شخصيات مادية أو معنوية. أما الرشاوي فشغلكم. فتدبروا أمركم مع أشغالكم لكن احترموا واجباتكم اتجاه الدولة التي تحمونها وتحميكم..."

ليس لي من سبيل يمكنني اللجوء إليه لحماية رأسمالي. ولذلك، فقد قررت الهجرة.

### حديث المهاجر من وطن الجغرافيا إلى وطن المواطنة:

الوطن؟...

الوطن ليس بقعة أرضية لها حدود على الخارطة وحرس بالكلاشنكوف يتناوبون على مراقبة الأسلاك الشائكة التي غرسوها بأيديهم...

الوطن علاقات تشدك إلى ثوابت تعزز أنت بما وتعني هي بك...

حيثما وجدت الكرامة والشرف والحق والعزة... فثمة الوطن.

ليس مفروضا علي أن أظل، مدى الحياة، حبيس السقف الذي ولدت فيه والجدران الاربعة التي سمعت صرختي الأولى.

انا سمكة، يا رفاقي. والسمكة يكفيها الماء كي تحيا. حيثما وجدت المأوى الآمن والماء الصحي والغذاء الوفير... فثمة وطنها.

أنا سمكة، يا رفاقي. وأنا مهاجر بحثا عن الماء الضامن للبقاء.

## حديث المهاجر من أرض السجن:

لما كنت أسيرا، كنت أفكر بمنطق "هنا وبرأ". هذه الثنائية كانت وحدها تحفزني على مقاومة التدمير والاستمرار في الحياة إلى حين انقضاء تاريخ الأسر. لكن، الآن، وقد خرجت، بعد كل هذه المدة الطويلة في ظلام السجن، لم أجد تلك ال"برأ" التي كانت تكون ثنائية التوازن النفسي والعقلي والوجودي في حياتي داخل الزنازن...

أنا، الآن، أعيش بينكم، أيها المتمتعون بشهادات حسن السلوك، ولكن بعقلية السجين.

إنني لا أرى ما حوالي غير مرافق لسجن عظيم حيث كل من حوالي مجرد سجناء بؤساء حتى وهم تحت جلايب العيد أو بدلات الاجتماعات فأنا لا أراهم يرتدون إلا لباس السجناء.

فيوم الاثنين، أراهم يرتدون اللون الوردى. ويوم الثلاثاء يرتدون الأبيض المخطط بالأسود. ويوم الأربعاء يرتدون الأصفر... ولهذا، أنا، هنا، بينكم أنتظر عبور البحر إلى حيث يمكنني العيش حرا بين أناس أحرار.

### صوت بغني:

" يا الريح وين مسافر؟

تروح، تعيا وتولي

اشحال ندموا العباد الغافلين

قبلك وقبلي..."

### انطباع شارد:

هل كنا نعيش كل هذا العنف فرادى ولا يعرف أحدنا شقاء الآخر؟

بالإهانة!

لم يكن الواقع بهذا الوضوح في يوم من الأيام! لم تكن حياتنا مفضوحة بهذه الدرجة لأننا لم نكن حميمين في تحايانا، ولا في كلامنا، ولا في خصامنا، ولا في صداقتنا، ولا في جلوسنا ولا في فراقنا...

كنا منافقين. وكنا نؤدي الثمن أمراضا لا علاج لها: سكري وشلل نصفي وسرطان والهيار عصبي...

لم نكن نرى الواقع بهذا الوضوح لأننا كنا نخاف بعضنا البعض. كنا نخاف انفضاح أمرنا... والآن عبد سقوط ورقة التوت عن الجميع، تخلصنا من قيم الخوف والفضيحة.

الآن، ليس لدينا ما نخاف عليه لأننا جميعا عرايا...

يا للعار!

علينا أن نكفر عن جبننا. إننا لا نستحق هذه الأرض! إننا لا نستحق هذا الوطن! لقد خذلناه بعشرة آلاف سنة من الوجود الجبان! وعلينا أن نفكر عن خطيئتنا...

علينا أن نهاجر وألا نعود إلا بعد أن تصبح الشجاعة صفة وجودنا. علينا أن نهاجر وألا نعود إلا بعد أن تصبح الحرية نظام تفكيرنا. علينا أن نهاجر وألا نعود إلا بعد أن تصبح الكرامة غاية كينونتنا...

أيها الأصدقاء، ماذا تقترحون ونحن بين الصحاري والبحار: التيه أربعين عاما في الصحاري أم عبور مجاهل البحار؟...

### اقتراح:

كل شجعان التاريخ سلكوا طريق البحر. لكننا لا نملك عصا موسى لنشق البحر. ولا عندنا سفن طارق بن زياد حتى نعبث بها البحر ثم نحرقها بعد الوصول... نحن مجرد جحافل من المنبوذين لا نملك غير سواعدنا وأفواهنا: فما رأيكم لو شربنا جرعة واحدة لكل واحد من هذا البحر؟ سيجف

البحر وسنعبث الأرض الجففة مشيا على الأقدام وسنصل إلى الضفة الأخرى بسلام!!!

### رد فعل الشجر والحجر:

أتذهبون حقا وتتركوننا لوحدها؟!!

هل هذا النوع من الهجرة قادر على تطهيركم فعلاً؟!  
إن كل من يهاجر يحمل معه ما هو هارب منه. إنكم تحملون معكم تناقضاتكم وتناقضات واقعكم. إن من يهاجر بحثاً عن تطهير سيقضي حياته مهاجراً من بلاد إلى بلاد بحثاً عن براءة غير ممكنة.  
الهجرة الحقيقية هي هجرة سلبياتكم. إنكم مهاجرون بنفس القبضات الممكنة على رقابكم. لن تتطهروا ولن تتحرروا وهجرتكم هذه هي فقط عقوبة إضافية لمعاناتكم التاريخية.

### كورال المهاجرين الفبروزيين وهم يشمرون عن سواعدهم ويفتحون أزوار قمصاتهم استعداداً لشرب البحر:

سنرجع يوماً إلى حيننا ❖ ونغرق في دافعات المني  
سنرجع مهما يمر الزمان ❖ وتناهى المسافات ما بيننا  
فيا قلب مهلاً ولا ترتمي ❖ على درب عودتنا موهنا  
يعز علينا غداً أن تعود ❖ رفوف الطيور ونحن هنا

القصر الكبير، سنة: ٢٠٠٣

نص منشور في صحيفة "العقائد" اللندنية بتاريخ ٢٨/٠٩/٢٠٠٥

## النصوص

٤	تصدير
٥	شهادة بقلم محمد سعيد الريحاني
١١	طائر الربيع
١٣	لكل سماؤه
١٥	حقل راقص
١٩	الحياءات الثلاث
٢٥	مدينة العجاج بن يوسف الثقفي
٢٧	فخامة السيد الرئيس الحبيب العبيدي
٢٩	تنمية
٣١	إخراج تافه لمشهد تافه
٣٥	شيخوخة
٣٧	جون جونية: بين البحر والسجن والمقبرة
٤١	الرجل الأرنب
٤٥	كلاب
٤٧	يا ذاك الإنسان
٤٩	الحياة بالأقدمية
٥٣	كاتبة
٥٧	موسم الهجرة إلى أبي مكان



## السيرة الذاتية لـ محمد سعيد الريحاني

محمد سعيد الريحاني، كاتب و مترجم و باحث في الفن والأدب من مواليد ٢٣ ديسمبر ١٩٦٨، عضو هيئة تحرير "مجلة كتابات إفريقية" الأنغلو فونية *African Writing Magazine* والصالحة من مدينة بورنموث *Bournemouth* جنوب إنجلترا، عضو اتحاد كتاب المغرب. صدر له: "الاسم المغربي وإزالة التفرقة"، دراسة سيميائية للإسم الفرنسي (٢٠٠١)، "في انتظار الصباح"، مجموعة قصصية (٢٠٠٣)، "موسم العجوة إلى رأي مكان"، مجموعة قصصية (٢٠٠٦)، "العاءات الثلاث"، أنصولوجيا القصة المغربية الجديدة (صالحة في ثلاثة أجزاء على ثلاث سنوات ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، "تاريخ التلاعب بالامتحانات المقننة في المغرب" (صالحة في جزأين ٢٠٠٩ - ٢٠١١)، "موت المؤلف"، مجموعة قصصية (٢٠١٠)، "حوار جيلين" مجموعة قصصية مشتركة مع إدريس الصغير (٢٠١١).

أشرف على الترجمة الإنجليزية للنصوص القصصية المكونة للقسم المغربي في أنصولوجيا "صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة" *Speaking for the Generations* التي أعدها جامعة أوليف هارفيد بولاية تشيكاغو الأمريكية ونشرتها دارا نشر "ريك سيه بريس" و"أفريكا وورلد بريس" في ترنتن بولاية نيو جيرسي الأمريكية، يونيو ٢٠١٠.

كما أشرف على ترجمة خمسين (٥٠) قصة وقاصلا مغربيا إلى اللغة الإنجليزية ضمن أنصولوجيا "العاءات الثلاث: مختارات من القصة المغربية الجديدة" وهو مشروع ثلاثي الأجزاء صالحة في نسخته الورقية العربية على ثلاث سنوات: "أنصولوجيا العلم المغربي" سنة ٢٠٠٦، "أنصولوجيا الحب" سنة ٢٠٠٧، و"أنصولوجيا العروة" سنة ٢٠٠٨ تقصد منذ بداياته، تحقيق ثلاثي غايات أولها التعرف بالقصة القصيرة المغربية عالميا؛ وثانيها التعبئة بين أواسط المبدعات والمبدعين المغربية لجعل المغرب يمثل مكانته الأدبية كعاصمة للقصة القصيرة "المغرب العربي" إلى جانب الجزائر عاصمة الرواية وتونس عاصمة الشعر؛ وثالثها التأسيس لـ "المدرسة الحداثية"، "مدرسة" قائمة للقصة القصيرة الغدوية عبر هدم آخر قلاع العتمة في الإبداع العربي (العلم والحب والعروة) واعتماده هذه "العاءات الثلاث" ملاذة للحكي الغدوي التي يكونها لا يكون الإبداع إبداعا.

له قيد الإعداد للصبع: "٢٠١١، علم الثورة" (مجموعة قصصية)، "وراء كل عظيم أرقام" (مجموعة قصصية)، "خمسون قصة قصيرة جدا"...

[www.rahani.ma](http://www.rahani.ma)

